

الفصل التاسع

حقوق الإنسان النفسية

الفصل التاسع

حقوق الإنسان النفسية

إن المولى عز وجل عندما تحدث عن النفس البشرية في القرآن الكريم، وما تحمله من دوافع وانفعالات وسمات شخصية، وتحدث عن الفروق الفردية بين الناس. تحدث لحكمة أرادها سبحانه وتعالى، ولتوضيح الطريق السليم للوصول بالنفس إلى النعيم، عن طريق التوازن بين الجانب المادي والذي يتمثل في احتياجاتنا الإنسانية لحفظ الذات وبقاء النوع، وبين الجانب الروحي الذي يردنا إلى الله سبحانه وتعالى، عن طريق الإيمان الفطري المتأصل في نفوسنا.

وكما ذكر القرآن النفس البشرية وأمراضها، ذكر أيضاً العلاج النفسي لها، فالصحة النفسية أمر ضروري للإنسان في حياته الدنيا، لا يقل في الأهمية عن الصحة البدنية، فكلاهما يساعد الإنسان على تدبر أمور حياته، ومن المعروف أن هناك أمراض جسدية أساسها سوء الحالة النفسية، وقد عرفها العلماء بالأمراض (النفسجسمية).

ومن تعريفات الصحة النفسية يمكننا أن نخرج بتعريف لها، وهو: أن الصحة النفسية تعنى قدرة الإنسان على التكيف، والتوافق مع مواقف وظروف الحياة

المختلفة، السار منها والمحزن؛ بحيث يظل قادراً على أداء الدور المنوط به في الحياة من عبادة، وإعمار، والمساهمة في بناء المجتمع السليم، فالشخص المعتل نفسياً يفقد الثقة بنفسه؛ وبالتالي يفقد الثقة بالآخرين، مما يفقده روح التعاون في صورة تكاملية بينه وبين غيره من الناس، والأسوأ من ذلك أنه يتعامل ويتفاعل معهم بطريقة عدوانية أملاً في تحقيق ذاته؛ ومن ثم يتحول إلى عبء ثقيل على نفسه أولاً، ثم على المجتمع، وللحفاظ على الاستقرار المعنوي يجب أن نبدأ بتقييم الآتي:

- أولاً: طاقة صغار السن، وتقاس بطريقة غير مباشرة عن طريق الوراثة.
- ثانياً: المؤثرات العلمية والبيئية التي توجه الطموحات، وكذلك الاتجاهات والأنشطة في مرحلة الطفولة والمراهقة، مع وجود الصحة البدنية، والنفسية للفرد.

وقد أثبتت بعض التجارب العلمية، تأثير هذه الحالات على نمو الاضطرابات العقلية، فوجد أن هناك أكثر من 8 مليون أمريكي متأثرون بدرجة معينة بالأمراض العقلية، ويجب أن يوجه هؤلاء الأشخاص الذين يندرون بمرض عقلي إلى محللين نفسيين، أو أخصائيين في الأمراض العقلية، وتعتبر الوظيفة الأولى لأولياء أمور صغار السن، في المحافظة على الصحة العقلية لهؤلاء الأشخاص في مجالات عملهم، (الطويل، 1985) وذلك حتى يتجنبوا مخاطر التعب النفسي الذي يضر بكافة مجالات الحياة، ومنها على سبيل المثال التعب النفسي في العمل، وهو مصطلح يتضمن أنواع العوامل الأكثر مراوغة التي تؤدي إلى الهبوط بالعمل، وهو لهذا يتضمن هبوط الكفاية في أداء العمل، الذي كثيراً ما يطلق عليه اسم التعب العقلي، كما يتضمن أيضاً الظاهرة المعروفة باسم الرتابة والملل.

هذا وينبغي أن يدرج تأثير الاتجاهات والدوافع في الهبوط بالعمل مع هذه الفئة أيضاً. ويمكن أن تعد هذه الظاهرة في النطاق الذي يحدث فيه التعب، هبوطاً في وظيفة الأعصاب، والمراكز المخية، ولسوف نرى فيما بعد أن الرتابة والملل يتأثران بالطريقة التي ينظر الفرد بها من حين لآخر إلى المهمة التي عهد بها إليه؛ مما يؤدي بالإنتاج إلى التذبذب - صعوداً وهبوطاً - بدلاً من الهبوط المطرد.

ولا يمكننا أن نغفل دور المهمة نفسها الموكل إليه لإنجازها، بالإضافة إلى جو العمل من قواعد، ولوائح، ومعايير، وقوانين تتضارب مع بعضها، وغير ذلك من الأسباب التي تؤدي إلى الروتين، وبالتالي إلى الرتابة والشعور بالملل، بالإضافة إلى الإحباطات التي قد يواجهها الإنسان، وفقده للتقدير والتشجيع من جانب رؤسائه، وإجهاض كل محاولاته للتطوير، بادعاءات غير مبررة، وغير منطقية، كل هذا يؤدي في النهاية إلى التعب النفسي، الذي يظهر في صورة تعب بدني وعدم قدرة على أداء العمل، وذلك لقلة إدراكنا، أو عدم الاهتمام بالنفس البشرية وأمراضها، مما يحدث الخلط بين نوعي التعب النفسي والبدني.

وقد وجد أن الدافعية عامل مشترك في أنواع التعب جميعاً؛ من حيث أن سرعة حدوث التعب في أي نموذج من نماذج العمل، تختلف اختلافاً عكسياً مع قوة الدافعية. فإذا كانت الدافعية ضعيفة ظهرت آثار التعب سريعاً، أما إذا كانت الدافعية قوية، فقد لا تظهر علامات التعب حتى يبدو الإنهاك البدني واضحاً.

لذلك؛ لا ينبغي إغفال أهمية التعب النفسي، حتى على الرغم من الغموض في أعراضه في الكثير من الأحيان، وإبهامها، فهو جانب هام في الاضطراب الصناعي، وفي الهبوط بالعمل - وبالتالي قلة الإنتاج كما وكيفاً - بل إنه قد يكون مسئولاً أيضاً عن زيادة الإصابة بالاضطرابات النفسية في الحياة الحديثة، ذلك أن الصراعات العقلية الإحباطات تتصل كثيراً بعمل الإنسان؛ بحيث قد أضحي من مصلحة رجال الصناعة - والحكومات - أن يعملوا على الوصول إلى ما يؤدي إلى خفض الإصابة بها. (ماير، د.ت)

ما سبق هو نموذج من نماذج تأثير التعب النفسي على مجال من مجالات الحياة المختلفة، ولهذا كانت أهداف الصحة النفسية تشكل في الأساس حول صغار السن، "فالتنشئة الجيدة هي أولى خطوات الصحة النفسية، بالإضافة إلى التعليم بكل مراحلها، ولا نغفل دور الدين ممثلاً في المساجد، وما يلقي فيها من خطب، تحتاج إلى تطوير، ليس كما هو مفهوم للبعض بأنه تغيير في الشريعة، والأوامر

والنواهي الآلهية، بل المقصود بالتطوير هو مناسبة الخطاب الديني لكل ما يحيط بنا من أحداث، وتطورات في كافة مجالات الحياة، فلا ينبغي أن تقتصر معرفة الخطيب على المعلومات الدينية فقط، في وقت يشهد فيه العالم انفتاحاً ثقافياً، مليئاً بالتيارات الفكرية، والمذهبية المختلفة، فليس من المنطقي أن نقدم للناس الدين بأسلوب قائم على التلقين في وقت لم يكن فيه هذا الكم من المعلومات، والبيانات، والتيارات الغريبة عن المجتمعات الإسلامية المحافظة، مما يفرض ضرورة التطوير لإنقاذ المجتمع الإسلامي من التأثير بأفكار مغلوطة، وجدت طريقها إلى عقولهم التي لا تملك من العلم والثقافة والفكر الديني إلا القليل، ولذلك فعلى كل مسئول عن تنشئة الطفل، أن يعي تماماً خطورة المسؤولية الملقاة على عاتقه، وأهمية دوره في الحفاظ على سلامة النفس، والوقاية من أمراضها، فالآباء والأمهات، ورجال الدين، والباحثون الاجتماعيون، وأصحاب الأعمال، والمسؤولون بالمدرسة، كل هؤلاء في حاجة إلى معرفة الخطورة على الصحة النفسية في الحالات المتوارثة في البيئة على مر الزمن، وبناءً على ذلك يجب أن يوافقوا بين صغار السن، وهذه الحالات، أو يساعدهم على التوافق مع العوامل التي يصعب تغييرها، وبهذا تكون نسبة حدوث الأمراض العقلية أقل. الطويل (1985: ص 208)

ومن هنا تتضح لنا أهمية البدء بالطفل والمراهق، فالطفولة السوية الخالية من العقد والأمراض النفسية، "في أولى مراحل تكوين الشخصية السوية، فهي البيئة الخصبة لمراهقة سوية؛ وبالتالي مرحلة بلوغ تتميز بتوائم الفرد، وتكيفه مع البيئة المحيطة مما يحقق له السعادة في الحياة.

والمدرسة حين يعهد إليها المجتمع بهذه المهمة الخطيرة، وهي مهمة إعداد الأجيال، أو صناعة المواطن الصالح السوي المؤمن بربه ووطنه وعروبته، فإنها في حاجة إلى التزود بكل ما يفيد في أداء رسالتها من الخبرات، والمعلومات، والمعارف الطبية، والنفسية، والاجتماعية، والحيوية، وما يلزمها من دعم مادي وبشرى. العيسوي (2000: ص 215)

لهذا؛ فإن الإيمان بالله بمفهومه الحقيقي (ما وفر في القلب وصدقه العمل)، هو أولى درجات النفس السوية، وأهمها على الإطلاق، لما في الإيمان من تأثير نفسي جيد، يجعل لشخصية الإنسان توافقاً يؤهله إلى التوازن النفسي فيكون عمله للدين والدنيا سواء، وهذا ما أكدته القرآن الكريم منذ مئات القرون، وما زال وسيظل المرجع الأساسي لكل إنسان يريد أن ينجو بنفسه. يقول المولي عز وجل:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝۹ ﴾ . [الإسراء: 9]

ويقول سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝۸۲ ﴾ . [الإسراء: 82]

ويقول: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝۵۷ ﴾ . [يونس: 57]

ويقول: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ؕ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝۴۴ ﴾ . [فصلت: 44]

لقد كان للقرآن الكريم أثر عظيم الشأن في نفوس العرب، فقد غير شخصياتهم تغييراً تاماً، وغير أخلاقهم وسلوكهم وأسلوب حياتهم، وكون منهم أفراداً ذوي مبادئ ومثل وقيم إنسانية نبيلة، وكون منهم مجتمعاً متحداً منظماً، متعاوناً، فاستطاعوا أن يهزموا الروم والفرس أكبر دولتين في العالم في ذلك الوقت، وانتشروا في معظم بلاد العالم، وقاموا بنشر الدعوة الإسلامية فيها، وأنشأوا دولة عظيمة قوية مترامية الأطراف - صعب أن تتكرر -.

إن هذا التغيير العظيم الذي أحدثه القرآن في نفوس العرب، وفي نفوس جميع المؤمنين به من مختلف شعوب العالم، لم يعرف التاريخ نظيراً له بين جميع الدعوات العقائدية التي ظهرت عبر العصور التاريخية المختلفة.

ولا شك أن للقرآن الكريم نورانية، وطاقة روحية هائلة ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان فهو يهز وجدانه، ويرهف أحاسيسه ومشاعره، ويصقل روحه، ويوقظ إدراكه وتفكيره ويجلي بصيرته، فإذا بالإنسان بعد أن يتعرض لتأثير القرآن يصبح إنساناً جديداً، كأنه خلق خلقاً جديداً.

وتتفق جميع المدارس الخاصة بالعلاج النفسي، على أن القلق هو السبب الرئيسي في نشوء أعراض الأمراض النفسية، ولكنها تختلف فيما بينها في تحديد العوامل التي تسبب القلق، وتتفق هذه المدارس أيضاً على أن الهدف الرئيسي للعلاج النفسي هو التخلص من القلق، وبث الشعور بالأمن في نفس الإنسان، ويمدنا تاريخ الأديان، وبخاصة تاريخ الدين الإسلامي، بأدلة عن نجاح الإيمان بالله في شفاء النفس من أمراضها، وتحقيق الشعور بالأمن والطمأنينة والوقاية من الشعور بالقلق، وما قد ينشأ عنه من أمراض نفسية، ومما يجدر ملاحظته أن العلاج يتدخل عادة بعد حدوث الإصابة بالمرض النفسي.

أما الإيمان بالله إذا ما بث في نفس الإنسان منذ الصغر، فإنه يكسبه مناعة ووقاية من الإصابة بالأمراض النفسية، وذلك استناداً على الروح التي تركز إلى الله، وتحتمي به وتحن إليه كجزء من روحه سبحانه وتعالى - مما يوضح أهمية التنشئة الدينية -، وقد وصف القرآن في العديد من الآيات، ما يحدثه الإيمان من أمن وطمأنينة في نفس المؤمن نذكر منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢). [الأنعام: 82]

وقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١١٢). [البقرة: 112]

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴿٣١﴾ نزلاً من عفور رحيم ﴿٣٢﴾. [فصلت: 30-32]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١٣) .
[الأحقاف: 13]

والمؤمن الحق لا يخاف من فوات الرزق أو ضياعه، فالله عز وجل قدر له ولغيره رزقه قبل إيجاده، وفي ذلك يقول المولي عز وجل: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (٢٢) . [الذاريات: 22]

ويقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٥٨) [الذاريات: 58]
ويقول: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٦٠) . [العنكبوت: 60]

ويقول: ﴿ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ﴾ (٦٦) . [الرعد: 26]

أيضاً لا يخاف الموت، لإيمانه بأنه حق على كل النفوس، وأيضاً من هذا الإيمان ينبع الصبر على فقد عزيز لدينا، فلا يأتي المؤمن بأفعال الجاهلية، وهى في حقيقتها اعتراض على أمر الله ومشيتته، يقول تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنْ الْفَكْرِ وَادْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْعُرُورِ ﴾ (١٨٥) . [آل عمران: 185]

ويقول: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصَبِّهْمْ حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصَبِّهْمْ سَيِّئَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَالْهُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ (٧٨) . [النساء: 78]

ويقول: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣٤) .
[الأعراف: 34]

ويقول: ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١١) . [المنافقون: 11]

ويقول: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ . [فاطر: 11]

ويقول: ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تَمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ . [أحزاب: 16]

ويقول عز من قائل: "يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ" . [الجمعة: 8]

أيضاً المؤمن الصادق هو المؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره، الصابر على المكاره والمصائب، لا يتلفظ بما يتلفظ به الجهلاء في وقتنا الحاضر، من ألفاظ تحمل بين جنباتها وجه الاعتراض بسؤال المولى عز وجل لماذا هذه المصائب والشدائد، وسبحانه لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

والمؤمن الصادق لا يندم على ما فاته من نعم كما أنه لا يشعر بالقلق الناتج عن الإحساس اللاشعوري بالذنب، وهو ما يعاني منه كثير من المرضى النفسيين، لأنه ليس من السهولة إغرائه بارتكاب الذنوب التي يندم عليها أشد الندم، وإن فعل الذنب، وهو أمر مقدر على الإنسان أن يخطئ، لكن المؤمن الحقيقي يستطيع أن يدرك خطأه بضميره اليقظ، ومخافته من الله عز وجل، فيستغفر الله عن خطأه، راجعاً إليه تائباً، يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ . [النساء: 110]

ويقول: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ . [طه: 82]

ويقول: ﴿ قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ . [الزمر: 53]

والإيمان أيضاً يؤدي إلى الانتماء إلى الجماعة؛ حيث يبحث القرآن المؤمن على أن يحب إخوانه المؤمنين، وأن يحسن إليهم، ويمد إليهم يد العون والمساعدة، يقول

تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٠) .
[الحجرات: 10]

ويقول: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٩) . [الحشر: 9]

كما يحث القرآن المسلمين على التعاون والتكافل، وتكوين مجتمع موحد الكلمة، متضامن يشعر فيه المؤمن أنه لبنه في بناء واحد متكامل، مما يشعر معه بأهميته، وبأنه عضو نافع في المجتمع وليس عبئاً عليه، يقول تعالى:

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوْا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَىٰ وَلَا الْآلِفَتَيْدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدُوِّ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢) . [المائدة: 2]

إن حرص القرآن الكريم على توجيه المسلمين إلى حب الآخرين، يقضى على مشاعر الوحدة التي يشعر بها المرضى النفسيون، وقد فطن كثير من المعالجين النفسيين إلى أهمية العلاقات الإنسانية في الصحة النفسية، وذلك بتوجيه المرضى النفسيين إلى الاهتمام بالناس الآخرين، واتضح أن المريض النفسي إذا اندمج في المجتمع، وما يتبع ذلك من تحسن في علاقاته بالناس، فإنه يشفى من مرضه النفسي.

من المؤكد أنك إذا أردت أن تُحدث تعديلاً، أو تغييراً في شخصية إنسان ما وفي سلوكه، فمن الضروري أن تقوم بتعديل أو تغيير أفكاره واتجاهاته، إذ أن سلوك الإنسان يتأثر تأثراً كبيراً بأفكاره واتجاهاته.

لذلك؛ فإن العلاج النفسي يهدف أساساً إلى تغيير أفكار المرضى النفسيين عن أنفسهم، وعن الناس، والحياة، والمشكلات التي عجزوا عن مواجهتها من قبل وكانت سبباً في قلقهم، وحينما تتغير أفكار المريض النفسي نتيجة للعلاج، فإنه

يصبح أقدر على مواجهة مشكلاته وأقدر على حلها، بل إنه غالباً ما يري أن المشكلات التي كانت تقلقه في الماضي، والتي أدت إلى مرضه لم تكن في الحقيقة بالضخامة التي كان يتوهمها، ولم يكن هناك في الحقيقة مبرر يدعو إلى قلقه الشديد بسببها.

وقد نجح القرآن الكريم نجاحاً عظيماً في التأثير في شخصيات الناس، لا نظير له بين جميع الدعوات الدينية في جميع عصور التاريخ، فقد نجح في تكوين الشخصية الإنسانية المتكاملة المتزنة الآمنة المطمئنة، والسؤال: فكيف استطاع القرآن أن يعالج نفوس العرب، ويغير شخصياتهم على هذا النحو؟

لقد تم ذلك عن طريق عدة أمور؛ وهي:

1- الإيمان بعقيدة التوحيد:

وهو الخطوة الأولى في إحداث تغيير كبير في الشخصية، فهو يولد في الإنسان طاقة روحية هائلة تغير مفهومه عن ذاته، وعن الناس، والحياة، والكون بأكمله، ويبعث فيه الشعور بالأمن والطمأنينة، فكل ما يحدث له يردده إلى الله، محاولاً الوصول إلى حكمته، يساعده في ذلك إيمانه الذي يجعله يرى في كل حدث الخير، فالمؤمن أمره كله خير كما أخبرنا النبي الكريم ﷺ.

2- التقوى:

وهي تصاحب الإيمان بالله؛ وتعنى أن يقي الإنسان نفسه من غضب الله وعذابه بالابتعاد عن ارتكاب المعاصي والذنوب، والالتزام بمنهج الله تعالى الذي رسمه لنا القرآن، وبيّنه لنا رسول الله ﷺ، ويتضمن مفهوم التقوى تحكم الإنسان في دوافعه وانفعالاته وسيطرته على ميوله وأهوائه، يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ . [الحديد: آية 28]

ويقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣٩﴾. [الأنفال: آية 29]

ويقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾. [الأحزاب: 70-71]

وقال: ﴿وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِن أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتِهِنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ وَمَنْ يَنْتَقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾. [الطلاق: آية 4]

3- العبادات:

لقد اتبع القرآن في تربيته لشخصيات الناس، وفي تغيير سلوكهم أسلوب العمل، والممارسة الفعلية للأفكار والعادات السلوكية الجديدة التي يريد أن يغيرها في نفوسهم، ولذلك فرض الله سبحانه وتعالى العبادات المختلفة: الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والقيام بهذه العبادات في أوقات معينة بانتظام يعلم المؤمن الطاعة لله تعالى، والامتثال لأوامره، والتوجه الدائم إليه في عبودية تامة، كما يعلمه الصبر، وتحمل المشاق، ومجاهدة النفس، والتحكم في أهوائها وشهواتها، كما يعلمه حب الناس، والإحسان إليهم، وينمى في نفسه روح التعاون والتكافل الاجتماعي، وكل هذه خصال حميدة تتميز بها الشخصية السوية الناضجة المتكاملة، ولا شك أن قيام المؤمن بهذه العبادات بإخلاص و بانتظام؛ إنما يؤدي إلى اكتسابه هذه الخصال الحميدة التي توفر له مقومات الصحة النفسية السليمة، كما يمدّه بوقاية من الأمراض النفسية. نجاتي (1982)

وفي النهاية؛ إذا كنا اعتدنا أن نقول إن البيت الذي تدخله الشمس لا يزوره الطبيب. فإن الصدور التي يسكنها الإيمان الصادق، والقرآن، وحب أداء العبادات بإخلاص، لا تزورها الأمراض النفسية، أو البدنية المترتبة عليها (النفسجسمية)، ولا يمسه عذاب النار، بل تنعم بالجنة بإذن الله.

تعريف الأخلاق:

يمكن تعريف الأخلاق بأنها: ما يجب عليك أن تفعله، وبتحديد أكثر: أن تعرف ما التصرف الصحيح وما التصرف الخطأ ثم تفعل ما هو صحيح، وربما كان التعريف الثاني أوضح وأبسط قليلاً.

صحيح أن هذا التعريف بسيط وواضح، ولكن الحياة العملية قد لا تسهل الاستفادة منه كثيراً، وذلك لأن التصرف الصحيح والتصرف الخطأ قد يتداخلان، بل كثيراً ما يتداخلان بدرجة تترك الفرد في حيرة شديدة بين البديلين؛ حيث قد يطلب منه عملياً الاختيار بين تصرفين يبدو أن كليهما صحيح!

من المؤكد أن غالبية التصرفات الخاطئة تكون واضحة، مثل السرقة أو الغش أو القتل، فلا أحد يقر هذه التصرفات بالطبع، ولكن المشكلة ليست في هذه الحالات الواضحة؛ وإنما تكمن المشكلة في ما الذي يجب علينا أن نفعله؟. إن السؤال الصعب حقيقة هو: ما الذي يجب أن نفعله؟، فعلى سبيل المثال:

من الصواب طبعاً أن يحافظ المعلم على الأسرار التي ييوح بها التلميذ له، ومن الصواب أيضاً أن يتعاون المعلم مع الناظر فيعطيه بعض المعلومات المهمة لحسن إدارة المدرسة. فهل يجب على المعلم التمسك بالمحافظة على السر؟ أم يجب أن يتعاون مع الناظر ويعطيه المعلومات التي سبق له التعهد بسريتها؟، وهل سيختلف الجواب إذا تعلق الأمر بأمن المدرسة؟، أو باكتشاف مرتكب إحدى المخالفات الكبيرة؟. ما الذي يجب أن تفعله؟.

ويزداد الأمر صعوبة عندما تكون التصرفات المتعارضة، كلها منبثقة من قيم أصيلة ونبيلة ومستقرة في ضمائرنا، وتتنافس على توجيه سلوكنا، ومن أهم العضلات الشائعة:

- الصراع بين الحب والواجب.
- الصراع بين الصدق والولاء.

- الصراع بين العدل والرحمة.
 - الصراع بين مصلحة الفرد و مصلحة المنظمة.
 - الصراع بين مقتضيات الأجل الطويل وضغوط الأجل القصير.
 - الصراع بين ديمقراطية القرار، وبين الاقتناع الشخصي بقرار مخالف.
- لأن الإنسان إذ يواجه هذه المواقف الأخلاقية يكون في حيرة شديدة، وتزداد حيرته عندما يكون هو صاحب القرار، والقرار تصاحبه مسئولية جسيمة.
- خلاصة القول.. إن السلوك الخلقى القويم ليس أمراً سهلاً، والتعرف على ما يجب عمله في كل موقف ليس أيضاً أمراً سهلاً. (عفيفي، 2006)
- إن الكثير من المديرين يبدون وكأنهم يعملون بدون حدود أخلاقية، وغالباً ما تبدو قراراتهم معتمدة أكثر على النفعية، أكثر من أي مفهوم لما هو صحيح، فهل المديرين أنفسهم مسئولون؟.
- إن مثل هذه الأشياء تعد ببساطة جزء من كون المدير، يحتمل أن تكون قليلاً من كليهما. فكمدير فإنه لابد وأن يلازمك في وظيفتك مفهومك الشخصي لما هو صحيح وما هو خطأ. و من الوجه الآخر لمسئوليتك فإن أخلاقياتك تمثل الخلاصة الكلية لخبراتك، وتعليمك، ونشأتك.
- إن كل قرار تتخذه وكل تصرف تقوم به سوف يعكس - للأفضل، أو للأسوأ - تطبيق هذه المعايير للأسئلة المتاحة. ولكن - وهذا هام جداً - أولئك المديرين ذوى المفهوم التواق لما هو صحيح، وما هو خاطئ يقومون بمخاطرة أداء الشيء الخطأ، ويحدث هذا حين يواجهون ضغوط ووقائع الحياة التنظيمية (Armstrong, 2008)؛ وما ينتج عنها من قلق؛ وهو حالة غير محددة للفرد تعبر عن عدم شعوره بالسعادة تجاه المستقبل، وهو يعتبر نتيجة سيكولوجية لتعرض الفرد للضغط ولتقص إشباع الحاجات، كما أنه أكثر الأعراض السيكولوجية الملحوظة لضغط العمل، وتبرز نقطتان أساسيتان للاختلاف بين ضغط العمل والقلق، هما:

- 1- أن ضغط العمل يعتبر سبباً مباشراً لظهور القلق.
- 2- في حين أن ضغط العمل له جانبان أحدهما سلبي، والآخر إيجابي، فإن القلق يعبر عن الجانب السلبي فقط لضغط العمل، مثله مثل الإحباط الذي يعبر عن إعاقة الفرد، عن الوصول لأحد الأهداف الهامة التي يرغب في تحقيقها، أو منعه من التصرف بالطريقة التي يفضلها للقيام بعمله (Jones , 1988: p.468)، ويعد ضغط العمل السبب الرئيسي والمباشر لحدوث الإحباط.

ويمكن تقسيم الضغوط من حيث تأثيرها إلى نوعين، هما:

الأول: الضغوط الإيجابية: وهي الضغوط المفضلة أو المرغوب فيها، وعلى المستوى الوظيفي قد يتعرض العامل للعديد من هذه الضغوط، مثل اجتياز اختبار ما، أو دورة تدريبية معينة للترقى، أو النقل إلى وظيفة أفضل.

ومن مؤشراتها:

- 1- ارتفاع حجم النشاط وقوته.
 - 2- زيادة الدوافع.
 - 3- تعلم الهدوء وعدم الانفعال تحت الضغوط.
 - 4- القدرة على إدراك وتحليل المشاكل.
 - 5- زيادة القدرة على التصرف.
 - 6- زيادة القدرة على التذكر والتركيز والاسترجاع.
 - 7- التفاؤل نحو المستقبل.
 - 8- توفير الدافع لحل المواقف المتعارضة مع الآخرين بأقل قدر ممكن من الضرر.
- (الصيرفي، 2007ب)

كما أن هناك ضغط لأجل الإنتاجية، وهناك ضغط لمواجهةك لقيم ومعايير رئيسك، وهناك الإغراء الحالي والدائم، والذي يأتي مع الاستقلال الذي يحصل عليه معظم المديرين. وهكذا، ففي القرارات سواء الكبيرة أو الصغيرة. فحتى المديرين

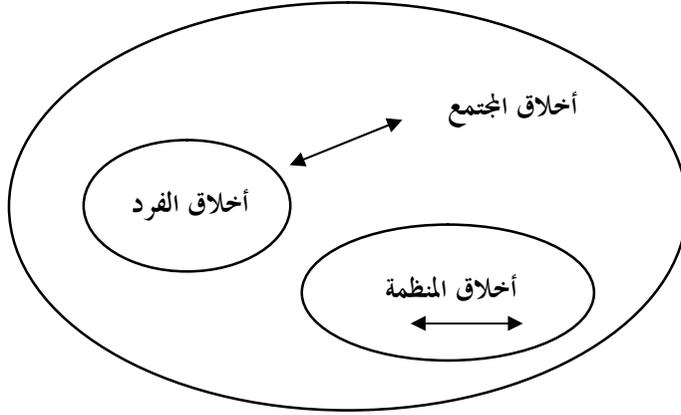
الذين يعرفون أكثر فإنهم أحياناً يتخذون القرارات المناسبة بدلاً من القرارات الحكيمة، على الرغم من أن المدير أو القائد مطالب بتحقيق الكفاءة الإدارية للعاملين معه، فالحكم عليه لا يكون فقط على النتائج، بل أيضاً على ما استطاع تحقيقه من كفاءة استطاع تطبيقها ليصل إلى تلك النتائج، فالعديد من المنظمات تعتقد اعتقاداً تاماً بأن الكفاءات الرئيسية لازمة للنجاح. (Armstrong, 2008)

وباختصار.. فإن القيادة الإيجابية تشير دائماً إلى ما يرفع كفاءة الأفراد؛ ومن ثم كفاءة المنظمة على أداء دورها في المجتمع، وأيضاً القدرة على مواجهة التحديات المختلفة. (Cameron, 2008: p.12)

مصادر قيم وأخلاقيات العمل والإدارة:

- 1- الدين في المجتمع.
- 2- قيم وأخلاقيات المجتمع.
- 3- قيم وأخلاقيات أسر العاملين بالمنظمة.
- 4- التشريعات والقوانين.
- 5- تعليمات ولوائح المنظمة.

وهناك نقطة هامة أخرى في هذا الشأن؛ وهي أن أخلاق المجتمع تمثل أساساً قوياً لأخلاقيات الإدارة والمنظمة، ليس فقط لأنها خلفية مسبقة في تكوين أخلاق أفراد المجتمع الذين يأتي منهم المديرون، بل أيضاً لأن الإدارة لا تعمل في فراغ؛ وإنما في بيئة حية ومتفاعلة معها. لذلك؛ لا بد من أخذ قيم هذه البيئة ومحدداتها الأخلاقية، بنظر الاعتبار في قرارات الإدارة وعملياتها المختلفة؛ لضمان قدر مناسب من تعاطف الجمهور معها، ويوضح الشكل التالي التفاعل التبادلي بين أخلاقيات كل من المجتمع والمنظمة والفرد:



أبو النصر (2007، ص 418).

شكل (7) التفاعل التبادلي بين أخلاقيات كل من المجتمع والمنظمة والفرد،

والسؤال: ما هي أخلاقيات العمل والإدارة؟.

أخلاقيات الإدارة في مجموعة من المعايير والمبادئ التي توجه السلوك الإداري، وتتعلق بما هو صحيح أو خطأ.

كما يرى (فانسنيج)؛ أن أخلاقيات العمل تمثل خطوطاً توجيهية للمديرين في صنع القرار، وإن أهميتها تزداد بالتناسب مع آثار ونتائج القرار، فكلما كان نشاط المدير أكبر تأثيراً في الآخرين، ازدادت أهمية أخلاقيات ذلك المدير. أما (فالوك) فيعرف أخلاقيات الإدارة بأنها: المنهجية للخيار الأخلاقي التي يتم من خلالها ما هو جيد. وهذا التعريف يحاول أن يعطى لأخلاقيات الإدارة بعداً علمياً، ليتم استيعابها ضمن علم الإدارة؛ حتى لا تصبح أخلاقيات الإدارة؛ في نقطة الضعف الذاتية في الدراسة المنهجية للإدارة وقراراتها وعملياتها المختلفة.

وفى هذا الاتجاه؛ نجد أن (بيتر دراكر) يرى أن الأخلاق في الإدارة؛ في العلم الذي يعالج الاختيارات العقلانية على أساس التقييم بين الوسائل المؤدية إلى الأهداف. أبو النصر (2007: ص ص 418، 419).

ونرى أن أخلاقيات العمل في: فعل كل ما هو صحيح بعد معرفته معرفة تامة دينياً ومجتمعياً، وعند التعارض بين المعرفتين، فعل ما أشار إليه الدين دون النظر إلى ما اعتاد عليه المجتمع من سلوك قد لا يتفق مع الشريعة السماوية. على (2011: ص 25)

الأخلاق في الإسلام:

الأخلاق في الشرع كما جاء في كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، في: هيئة أو حالة راسخة في النفس، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر ورؤية؛ أي أن الأخلاق في مجموعة متكاملة من المعاني والصفات المستقرة في نفس الإنسان، والتي على أساسها وميزانها يكون الفعل حسناً أو قبيحاً؛ ومن ثم يجب الإقدام عليه، أو الإحجام عنه.

وللأخلاق أهمية بالغة في الإسلام لما لها من ارتباط بالعقيدة من ناحية، ولما لها من تأثير جوهري على السلوك من ناحية أخرى، بل يمكن القول أن سلوك الإنسان وتصرفاته في موافقة دائماً لما هو مستقر في نفس الإنسان من معانٍ وصفات. (أبو بكر، 2010: ص 664)

ويقول الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين: إن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح، حتى أنها لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة. وأفعال الإنسان في كل الأحوال موصولة بما في نفسه، صلة فروع الشجرة بأصلها المغيبة في التراب؛ ومن ثم فإن صلاح أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه، لأن الفرع بأصله، فإذا صلح الأصل صلح الفرع، والعكس.

من أجل ذلك أكد الإسلام وحرص على صلاح النفوس وتزكيتها، واهتم بغرس معاني الأخلاق الحميدة فيها، وأوضح أن ذلك من الإسلام، وبها يكون، ونبه أن ذلك مطلوب من الحاكم والرعية، وأن كليهما مسئول أمام ربه عن إلزام الآخر بالخلق الحسن، وأن تتغير أحوالهم تبعاً لتغير ما بالنفس من قيم ومبادئ وأخلاق وصفات.

وتتمثل النقطة الجوهرية في اختلاف الأخلاق في الإسلام عن غيره من النظم الأخرى، في أن الإسلام جاء لغاية يحققها، ألا وهي مكارم الأخلاق؛ أي أن الأخلاق في الإسلام ليست نظاماً خاصاً، أو مجموعة مُثُل، أو تعاليم، أو تقاليد منفصلة ومستقلة عن أجزاء المنهج الإسلامي؛ وإنما في معطيات خيرة، وروح كريمة تنساب في كل جانب من جوانب المنهج الإسلامي ككل.

ومن هنا كانت أخلاقية البعث الإسلامي تعنى: إرساء القيم الإنسانية الرفيعة على كل ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، فالحكم الإسلامي مثلاً لا يقوم على الشورى إرضاء لخواطر الشعب؛ وإنما لأن الشورى مبدأ أخلاقي، وغيره من توجهات كالتسلط، والديكتاتورية، والتحكم، والانفرادية، كلها يعتبرها الإسلام أمور لا أخلاقية تظهر وتسود عندما يضعف الانتماء، أو يفسد الاعتقاد حتى ولو بقدر الانتساب إلى هذا الدين.

ولنظام الأخلاق في الإسلام خصائص، نذكر منها:

- 1- التعميم؛ أي الدعوة العامة إلى الأخلاق الكريمة.
- 2- التفصيل في الأخلاق موضعاً الأخلاق الجيدة والأخلاق الرديئة، وذلك لئلا يختلف الناس فيها، أو تتدخل الأهواء في تحديد المراد منها، كالتفصيل في النهي عن الغضب، أو الحث على الحياء، أو الدفع إلى التعاون، أو التأكيد على حقوق الغير، وغير ذلك من الأخلاقيات.
- 3- ربط الجزاء بالأخلاق والأخلاق بتقوى الله، ويعد ذلك من جوهر التشريع الإسلامي، والذي هو حق خالص لله تعالى، لأنه من خصائص انفرادة بالربوبية والألوهية على العباد. والجزاء هنا ليس قاصراً على الآخرة فقط، بل يكون في الدنيا أيضاً، لذا أمر الله تعالى القاضي بأن يوقع عقوبات على شاهد الزور، وعلى بذئ اللسان، ولهذا يرى الفقهاء إن كفارة الحنث في اليمين تعد شيئاً من العقوبة عن مثل هذا الخلق الردي.

- 4- ربط الأخلاق بالعبادة؛ حيث يعد حُسن الخلق في الإسلام من الأمور التعبدية لله عز وجل، فلا تقتصر العبادة في الإسلام على الصلاة والزكاة والصيام والحج، بل يمتد مفهوم العبادة لتحقيق العبودية الكاملة لله وحده، ومنها حسن الخلق. فلا بد للإنسان المسلم أن يكون حسن الخلق، لعلمه بأن الذي يأمره بحسن الخلق وينهاه عن سوء الخلق هو الله، وليس نظاماً أو قانوناً يمكنه أن يحتال عليه أو يحتج أمامه. أبو بكر (2010)
- وهذا أهم ما يميز الأخلاق في الإسلام، فالأخلاق لا تطبق بالقوانين، أو اللوائح دون إيمان حقيقي داخل الإنسان بقيمة الأخلاق وضرورتها للحياة، وهذا الإيمان لا يمكن أن ينشأ في ظل إدارة فاسدة، أو منظمة فاسدة، أو عدم رضاء، أو في ظل الفقر نتيجة الظلم في توزيع الدخل، أو نتيجة للفساد المالي داخل المجتمع، بعكس الأخلاق في الإسلام، والتي ترتبط بإيمان الإنسان بالله سبحانه وتعالى في كل حال، وتحت أي ظروف، فالمسلم مؤمن بالله وحده، ويعقل قدر الله وأسماءه وصفاته، وبأنه ليس بظلام للعبيد.
- 5- شمولية الأخلاق، والتي تتسع لتشمل جميع أفعال الإنسان سواء كانت خاصة بنفسه، أو متعلقة بغيره. وسواء كان الغير فرداً، أو جماعة، أم دولة، وفي الإسلام لا يخرج شيء عن دائرة الأخلاق، وأن يلزم مراعاة الأخلاق ليس في أعمال الجوارح المألوفة فقط، بل في أعمال القلوب غير المرئية أيضاً، فضلاً عن أن الإسلام يعتبر ما هو قبيح في علاقات الأفراد، قبحاً أيضاً في علاقات الدول، والعكس.
- 6- بقاء الأخلاق مع الاختلاف، فالإسلام لا يجبر أحد على الاعتقاد والدخول فيه، ولكنه ألزم الحاكم المسلم بفرض الأخلاق الحسنة، وإلزام الناس بها، والنهي عن الأخلاق الرديئة، وإنزال العقوبات على مرتكبيها، حتى ولو كانوا غير مسلمين، أبو بكر (2010: ص577) وذلك لضمان سلامة المجتمع التابعة من عمومية الدين الإسلامي وعالميته.

ونرى أنه من المناسب أن نستعرض المفاهيم الأساسية في الإسلام، والتي تنعكس مباشرة على المعايير الخلقية الواجبة في المجتمع، فهي مرتبطة بالأخلاق المتوقعة في العمل، وفيما يلي إيجاز لأهم المفاهيم الإسلامية:

1- مفهوم الإيمان: يصبح المرء مسلماً عندما يؤمن بالله الواحد، وبمحمد ﷺ كخاتم رسله، والإيمان حالة من السعادة تكتسب عن طريق فضيلة العمل الإيجابي والتصورات البناءة، وأيضاً من خلال الأعمال المؤثرة والفعالة.

2- مفهوم البر: البر هو أن نؤمن بالله واليوم الآخر وبالملائكة وبالكتب وبالرسل، وأن تنفق من مالك على ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب، وأن تنفق مما تحب، وأن تقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتوفى بالوعد، وأن تكون صابراً في البأساء والضراء وحين البأس، وأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

3- مفهوم التقوى: تتطلب التقوى الاستخدام السليم للعقل، عن طريق فهم حقيقة الله والحياة، والاستخدام السليم للثروة عن طريق الإنفاق في سبيل الله، والاستخدام الرشيد لقدرات الإنسان الروحية والجسدية. كما تتطلب التقوى درجة كبيرة من ضبط النفس وكظم الغيظ، والسيطرة على العواطف، والقدرة على التسامح والصبر، وحض المذنب على العودة إلى الله نادماً تائباً. إن التقوى والبر والإيمان عناصر متداخلة وتصب جميعاً في قناة واحدة.

4- مفهوم النبوة: إن بعث الله سبحانه وتعالى لرسله لدليل على الرابطة القوية بين السماء والأرض، وبين الله والإنسان؛ وهو يعنى أن الله فضّل الإنسان، وأن الإنسان فيه خير عميم. والغرض من إرسال الأنبياء هو تأكيد ما يعلمه الإنسان أصلاً، أو ما يستطيع أن يعلمه، وتعليمه ما لا يعلم أو لا يستطيع أن يعلمه بوسائله هو، أيضاً لمساعدة الإنسان في أن يسير على الصراط المستقيم، وأن يفعل الصواب ويتجنب الخطأ. إن مصدر النبوة وراعى جميع الأنبياء مصدر واحد هو الله سبحانه وتعالى، لا يفرق المسلمون بين الأنبياء، وإنما

يتقبلون تعاليمهم على أساس أنها متناسقة، وتكمل بعضها بعضاً، وهذا هو السبب في أن المسلمين يؤمنون بكل الكتب السماوية، ويقبلون كل أنبياء الله.

5- **مفهوم الحياة:** إن الحياة للدليل ساطع على حكمة الله وعلمه، وهى انعكاس حي لقوته، إنه مانح الحياة وخالقها، لا شيء يوجد عن طريق الصدفة، ولا أحد يخلق نفسه أو يخلق نفساً أخرى، والحياة عزيزة وخير، ولا يجب على أي شخص عاقل أو طبيعي أن يفقدها بمحض اختياره، إن الله يمنح الإنسان الحياة، وهو الوحيد صاحب الحق في استردادها.

6- **مفهوم الدين:** إن المفهوم الإسلامي للدين مفهوم متفرد بالمعنى الأشمل للكلمة، هناك دين واحد صحيح يأتي من الله لكي يتعامل مع مشكلات الإنسان القائمة في كل الأزمنة، وهذا الدين هو الإسلام، لكن يجب أن نعرف أن الإسلام قد تم تعليمه بواسطة كل الأنبياء قبل محمد ﷺ، وأن الأتباع المخلصين لإبراهيم وموسى، كذلك أتباع يسوع والأنبياء الآخرون يسمون مسلمين، وعليه فالإسلام كان وسيظل دين الله الحقيقي والشامل لأن الله واحد ودائم، ولأن الطبيعة البشرية والاحتياجات البشرية الكبرى - وهى في الأساس واحدة -، بصرف النظر عن الزمان والمكان، وعن الجنس والعمر، وأي اعتبارات أخرى. ويرى مفهوم الإسلام أن الدين ليس فقط ضرورة روحية وعقلية، لكنه أيضاً حاجة اجتماعية وعامة.

7- **مفهوم الخطيئة:** من الشائع أن الخطيئة بدأت بآدم وحواء أثناء حياتهم في جنة عدن، ولقد أدى هذا الحادث إلى السقوط، ووصم - منذ ذلك الحين - الجنس البشرى بالذنب والعار، وقد اتخذ الإسلام موقفاً متفرداً في هذا الأمر برمته؛ حيث ورد في القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أمر آدم وحواء أن يسكنا الجنة، وأن يتمتعا بثمارها كما يشاءان، لكنهما حُذرا من الاقتراب من شجرة معينة، فأزلهما الشيطان عنها فطردا من الجنة ليهبطا إلى الأرض؛ حيث لهما فيها مستقر ومتاع إلى حين.

وهذا الحادث الرمزي له دلالته، فهو يعنى أن الإنسان غير كامل، ولا تنتهى طلباته حتى لو عاش في الجنة، لكن ارتكاب الخطيئة لا يبيت القلب بالضرورة، أو يمنع من الإصلاح الروحي، أو يوقف النمو الأخلاقي، فالله سبحانه وتعالى مستعد دائماً أن يستجيب إلى الدعوات المخلصة الطالبة لعونه، وأن عفوه شامل ورحمته وسعت كل شيء.

8- مفهوم الحرية: يعلّ الإسلام الحرية ويجبدها، ويضمنها للمسلم وغير المسلم، كل إنسان يولد حراً في حالة من النقاء، وحقه في الحرية مقدس طالما أنه لا يعتمد التعدي على قانون الله، أو على حقوق الآخرين.

9- مفهوم المساواة: كل الناس متساوون في نظر الله، إلا أنهم ليسوا بالضرورة (متطابقين)، فهناك فروق في القدرات والإمكانات والطموحات والثروة ... الخ، إلا أن أيّاً من هذه الفروق لا يمكن أن يخلق بنفسه حالة من تفضيل إنسان أو جنس على آخر، إن قيمة المساواة ليست مجرد حق دستوري، إنها مبدأ من مبادئ الإيمان.

10- مفهوم السلام: إن الإسلام والسلام مشتقان من نفس المصدر اللغوي، ويمكن اعتبارهما مترادفين، وأحد أسماء الله هو السلام، والكلمات التي تختتم بها الصلاة اليومية في كلمات السلام، وتحية المسلمين عندما يعودون إلى الله في السلام، والتحية اليومية بين المسلمين في كلمات السلام، وصفة (مسلم) تعنى فيما تعنيه المسالم، والجنة في الإسلام في مكان السلام.

11- مفهوم المجتمع: لا يقوم المجتمع في الإسلام على الجنس أو القومية أو المكان أو الوظيفة أو القرابة، أو على أي مصالح خاصة، فالمجتمع الإسلامي يتخطى الحدود القومية والسياسية، والمبدأ الذي يقوم عليه هذا المجتمع هو إرادة الله.

إن الدور التاريخي للمجتمع الإسلامي، هو أن يكون التجسيد الصحيح للفضيلة ولصحة النفس والنبيل، بتغيير المنكر كما أمرنا الرسول الكريم ﷺ. وترتكز هوية المجتمع الإسلامي على مبادئ التوازن والقُدوة ووحدة الهدف وتبادل

المشاعر والمساواة، إن واجب المسلمين هو أن يفعلوا ما في وسعهم لضمان استمرار المجتمع.

12- مفهوم الأخلاق: من واجبات المسلم في علاقته بالآخرين، أن يكون عطوفاً على ذوى قرابته، وأن يحرص على جاره، ويحترم الكبير ويعطف على الصغير، ويهتم بالمرضى، ويعين ذا الحاجة، وأن يواسى المكروب، وأن يرفع من روح المكتئب، وأن يفرح مع الفرحين، وأن يصبر على الناس، وأن يتسامح مع الجاهل، وأن يعفو عن العاجز، وألا يرضى عن الخطأ، وأن يترفع عن الصغائر.

إن من الواجب الأخلاقي للمسلم، أن يكون قدوة حية للأمانة والكمال، وأن يوفى بالتزاماته، وأن يؤدي واجباته على نحو جيد، وأن يسعى طلباً للنعيم والفضيلة بكل الطرق، وأن يصحح من أخطائه، وأن يتوب عن ذنبه، وأن ينمى إحساسه بمجتمعه، وأن يقوى شعوره بالاستجابة الإنسانية، وأن يقوم بكفالة من يعولهم ويوفى باحتياجاتهم المشروعة، وعليه أن يستخدم عناصر الطبيعة، وأن يتدبر عجائبها، وأن يفسرها على أنها علامات على عظمة الله، وأن يحافظ على جمالها، وأن يستكشف عظمتها وأسرارها، وأن يتعد عن الإسراف.

إن المبادئ الأخلاقية الإسلامية سواء تم التعبير عنها إيجابياً أو سلبياً، قد وضعت لكي تبني في الإنسان عقلاً سليماً، وروحاً مسالمة وشخصية قوية وجسداً صحيحاً. إن دائرة الأخلاق في الإسلام شاملة متكاملة؛ بحيث تتضمن في نفس الوقت الإيمان بالله والطقوس الدينية، والممارسات الروحية، والسلوك الاجتماعي، وصنع القرار والعمليات العقلية وعادات الاستهلاك وطرق الكلام، وجميع مناحي الحياة.

13- مفهوم الكون: يرى الإسلام أن العالم كيان متطور خلقته إرادة خالق مصمم، وحفظته لغاية ذات معنى. لقد خلق الله الإنسان ليكون خليفته على الأرض، والمعرفة في قدرة الإنسان المتفردة، وهى تؤهله ليكون خليفته في الأرض، والإنسان مخلوق حر، وهب إرادة حرة، وهذا هو جوهر إنسانيته، وأساس مسئوليته أمام خالقه.

إن مصدر الحياة هو الله، والحياة ليست أبدية، وليست غاية في حد ذاتها؛ وإنما في مرحلة انتقالية، يعود بعدها كل شيء إلى خالقه، إن الإنسان لكائن مسئول لكن مسئولية الخطيئة لا تقع إلا على المخطئ وحده. والخطيئة ليست متوازنة، وغير قابلة للتحويل، وليست اجتماعية بطبيعتها. إن الإنسان كائن مبجل وجدير بالاحترام، وينبع هذا الاحترام من حقيقة أن بالإنسان قبساً من روح خالقه. عفيفي (2006)

دور المسجد الأخلاقي:

في ظل ما يشهده العصر الذي نعيشه من متغيرات ثقافية وفكرية، صنعت حالة من التشتت الفكري لدى الكثير من الناس، فلم يعد من السهل معرفة الصواب من الخطأ بسبب كثرة الآراء والأفكار والمعتقدات، والتي تتعارض فيما بينها وبين الرأي المعتدل في أغلب المساجد، والتي كان لها في السابق الدور الأكبر في تثقيف ومعرفة الناس بأمور دينهم وديناهم، من خلال دعاة استطاعوا بحسن الأسلوب أن يجذبوا الناس للمسجد ليس فقط للعبادة، بل لحضور جلسات العلم للاستزادة والتعرف على إجابات تساؤلاتهم، فيما يتعلق بالقضايا الدينية والدنيوية والتي زادت وستزيد أكثر وأكثر.

نصف إلى ذلك انتشار الفضائيات في عصر السماوات المفتوحة الذي نعيشه، ووجود الإنترنت، والتدفق المعلوماتي الرهيب، وحمى الفتاوى في الدين وفي غيره من العلوم. جعل من الصعب على المسجد بوضعه الحالي أن يحافظ على دوره التنويري لفقده الجاذبية الإعلامية من ناحية، ومن ناحية أخرى لفقده التجديد فيما يقدمه الدعاة من خطب تحمل بين طياتها معلومات استهلكت من كثرة استخدامها وتكرارها، إما للاستسهال، أو الجهل بقضايا العصر المختلفة، والمتعددة.

ويستطيع أي إنسان أن يلمس انحصار دور المسجد التثقيفي في وقتنا الحالي، وانسحاب الناس إلى شاشات القنوات الدينية، ومع تضارب الفتاوى نسي الناس ما كانوا يعرفونه من مبادئ العبادات، ويشهد على ذلك كم الأسئلة التي تنهال على تلك القنوات والتي في قليلها المهم، وفي أغلبها للأسف التفاهة والجهل.

نصف إلى هذا السبب: حاجة العالم الإسلامي إلى المزيد والمزيد من الأبحاث العلمية، التي تلقي الضوء على المسجد كمنازة للعلم والثقافة إلى جانب العقيدة، والتي يؤمن بها معتنيها من المسلمين، ودحض الافتراءات على الإسلام والمسلمين، وأخطرها اتهامنا بالتخلف والرجعية.

والخوف كل الخوف من أن يفقد المسجد اسمه (الجامع)، حين يتفرق الناس فيذهب كل منهم إلى مسجد من المساجد بعينه، وحينئذ تتفرق السبل ولا تكون المساجد لله، بل الناس بحسب شيعهم وطوائفهم وآرائهم.

لقد وضع المولى عز وجل، والنبى الكريم ﷺ دور المسجد التربوي والتعليمي والتثقيفي، توضيحاً جعل من السهل إدراك انحصار هذا الدور في وقتنا الحالي نتيجة الجمود الفكري، والاقتصار على فقه العبادات، والتي رغم أهميتها، لا يمكن أن ننكر أهمية تثقيف المسلم من خلال فكر معتدل عن طريق دعاة يملكون من العلم الديني، ما يجعلهم على استعداد أن يعيدوا للمسجد مكانته ودوره في حياة الناس، فقط ينقصهم الوعي الكامل بقضايا العصر وخطورتها على الأجيال الشابة من المسلمين، والذين يتعاملون مع لوحة المفاتيح بالحاسب الآلي بيسر ومهارة تفوق مهاراتهم في الكتابة بالقلم!.

لذا؛ على الدعاة ضرورة تجديد الخطاب الديني في الشكل والمعنى، حتى يجذب الناس مرة أخرى إلى المسجد؛ ومن ثم يعود دوره المفقود في التنوير والتثقيف. فإذا كانت المساجد للعبادة والذكر وقراءة القرآن، فإن فيها أيضاً حلقات العلم، وفيها خطاب للمسلمين في خطبة الجمعة والعيدين، وفي الأمور التي تهتم المسلمون والحديث عنها في المسجد أقرب وأدعى إلى الطاعة والعمل الصالح، ولذلك اهتم الشرع ببيان آداب الحديث في المسجد حين يكون خطاباً عاماً للناس، والإسلام وحده هو الذي جعل من المسجد أسمى وأرفع مكان توجه فيه كلمة الخير إلى جمع من الناس، فهو مكان العبادات والعلوم والمعارف.

وأول ما يلفت النظر أن النبي ﷺ أقام المسجد على أرض طاهرة ملكها المسلمون من أصحابها بحق، فالمسجد بيت الله في الأرض، ومع ذلك فإن حق العبد ظاهر حتى يتأسس المسجد على تقوى من الله من أول يوم، وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً سامياً يعز على المثال، وما زال حياً إلى اليوم. فإن إقامة بيوت الله لا تكون باغتصاب حقوق العباد أو ظلمهم فيها، ولا يكون بناء المسجد ومرافقه في مكان يضر المسلمين إقامته فيه، كما تقام بعض المساجد الصغيرة على مساحة من شاطئ النهر دون النظر إلى ما تحذته مرافق المسجد من تلوث الماء الذي يشرب منه الناس. فالمسلم يسجد لله في كل مكان ولا حاجة إلى الإضرار بالناس، وفي الأرض سعة لإنشاء المساجد التي تليق ببيوت الله مبنى ومعنى.

وقد كان المسجد الذي أقامه النبي ﷺ أوسع من أن يكون مخصصاً لأداء العبادات فحسب، فلو كان الأمر كذلك لكانت الأرض كلها مسجداً، ولما كان هناك ما يدعو إلى إقامة المسجد وتخصيص مكانه وإحاطته بمظاهر الطهر والتنزه عن كل ما يستقذره الإنسان، فهو مكان تنزل فيه الملائكة، وهو مأوى عباد الله الصالحين، وفيه يتصل المسلم بجبل الله المتين، وفيه تتزكى النفس وتصح الروح والبدن، فالمسجد يتطهر من الأنجاس والأحداث في المكان، والمسلم يتطهر في الجسد والثوب والمكان، وقد أمر المؤمنون أن يأخذوا زينتهم عندما يغشون المساجد. يقول المولى عز وجل:

﴿يَبْنَئِ أَدَمُ حُدُودَ زِينَتِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

﴿ [الأعراف: آية 31]

ولا سبيل إلى أذى يلحق المسلم في المسجد حتى الرائحة الكريهة يشمها، فقد روى مسلم أن النبي ﷺ قال: (من أكل من هذه الشجرة المنتنة - الثوم والبصل والكرات - فلا يقربن مسجداً، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الأنس)، وفي الحديث: (أن أعرابياً بال في المسجد فهم الصحابة أن يتناولوه بالأذى تنزيهاً للمسجد أن يكون فيه ما يستقذر، فمنعهم النبي ﷺ رحمة بالأعرابي الجاهل وقال

له: أن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر؛ إنما في لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن). وأمرهم النبي أن يهريقوا على المكان الذي تنجس دلواً من الماء.

كما سبق؛ يتضح لنا أن المسجد في صدر الإسلام، كان حجر الزاوية في حياة المسلمين، تؤدي فيه الصلوات، ويدرس فيه العلم ويتشاور فيه الناس في أمور دينهم ودنياهم، ويمدون فيه يد المساعدة للمحتاج والمساكين، وكانت منابر المساجد في الألسنة الطاهرة للدفاع عن الإسلام وقيمه الرفيعة. يقول تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ . [التوبة:

[18

والعمارة هنا لها معنيان كلاهما مقصود:

- الأول: العمارة والبنيان والتشييد.
- الثاني: عمارة المساجد بالعبادة والاجتماع فيها والذكر والاعتكاف.

وقد كان المسلمون في صدر الإسلام يتشاورون في أجل الأمور في المساجد، وفي تشاورهم تصان حرمة المساجد من اللغو وسقط الكلام، وكان النبي ﷺ يشاور أصحابه في المسجد، والخلفاء الراشدون يشاورون كبار الصحابة وذوى الرأي فيهم في المسجد في أمور الناس، وما يهمهم وما يجمعهم على كلمة سواء، وكان من وراء ذلك الخير للمسلمين. فالمسجد وهو مكان الدعوة الأول أحق الأماكن.

كما أدى المسجد عدة مهام جليلة، وفدت إليه الوفود التي رغبت في الإسلام، ولقيهم رسول الله ﷺ في المسجد ورحب بهم ووكل بهم من يرعاهم، كما حدث لما قدم وفد نصارى نجران، كما كان في وقت الحرب والحزن موثلاً للمصاب من المسلمين، فكانت خيمة السيدة (رفيدة الصحابية) التي كانت تقوم بتمريض الجرحى، وأمر الرسول ﷺ أن تضرب خيمة لسعد بن معاذ ﷺ حين أصيب يوم

الخندق، وكان رسول الله يعوّده ويرعاه فيها، وفي الصحيحين أن الرسول ﷺ كان يقضى بين الخصوم في مسجده، ولذلك ليس غريباً ولا كثيراً ما قلناه من أن المسجد كان حجر الزاوية في حياة المسلمين، وأنهم لذلك صانوه عن كل مالا يليق بجلاله مادياً ومعنوياً.

ضرورة تجديد الخطاب الديني:

الخطابة في فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقاءية تشتمل على الإقناع والاستمالة، ويتأمل هذا التعريف تبرز أمامنا طبيعة الخطابة، ومسئولية الخطيب على أوفى ما تكون.

والخطابة فن؛ أي أنها وإن كانت استعداداً فطرياً لا يباع ولا يشتري، فهي مع ذلك فن من الفنون التي يمكن تعلمها بالممارسة، ويقول أرسطو في ذلك:

(بعض الناس يمارس الخطابة فطرة وسليقة، وبعضهم يمارسها بالمرانة التي اكتسبها من مقتضيات الحياة).

وقالوا عنها أيضاً إنها (وحدة التصور. وقوة التصوير)، فالخطيب يملك من شفافية الروح وذكاء العقل ما يعينه على تصور دقائق الحياة والأحياء، ويرصد الكون من حوله بعين باصرة، وبصيرة كاشفة، وإلى جانب ذلك فله القدرة على تصوير ما وعاه، ونقله إلى غيره كما فهمه ورآه في تعبير قوى مؤثر.

وجدير بالذكر أن الخطيب لا تنتهي مهمته عند تصوير الواقع كما رآه، بل دوره يتخطى ذلك إلى ضرورة استمالة الناس إلى ما يدعو إليه، استمالة تحملهم على الطاعة في حال الأمر، والانتهاة عما ينهاهم عنه ليستطيع بحق أن يؤدي دوره في إحداث التغيير المطلوب على مستوى المجتمع الذي يعيش فيه.

إذن فمسئولية الخطيب لا تنتهي بالإقناع العقلي بفائدة الطاعة، وضرر المعصية. فالناس مثله مقتنعون!. فالخطيب لا يواجه في أداء مهمته فرداً أو اثنين،

ولكنه يواجه جمهوراً غفيراً، ومع كثرته فهو متعدد المستويات، متنوع الثقافات، ويفرض ذلك صوتاً عالياً وانفعالاً بما يقول، ليعينه ذلك على السيطرة والإمساك بزمام موقف معقد.. متعدد الجبهات.. والمفاجآت.

كما يجب أن يتميز الخطيب بلون من الأداء، يعبر من خلاله عن المعاني بما يناسبها من الأداء الصوتي.. علواً وانخفاضاً.. رقة وقوة، وبذلك يشترك الأداء المعبر مع اللفظ في إحداث التأثير لدى المستمعين. مما ينتج عنه الآتي:

- 1- نقل أفكاره إلى الآخرين.
- 2- ثم إقناعهم منطقياً بهذه الأفكار.
- 3- وأخيراً.. جذب قلوبهم إليها ليعملوا بمقتضاها.

وترجع أهمية الخطابة إلى كونها:

- 1- حاجة نفسية.
- 2- ظاهرة من ظواهر المجتمع البشرى.
- 3- وحدتها الكلمة بسحرها وفاعليتها.
- 4- بيان من البيان الذي هو نعمة الله على الإنسان.
- 5- سلاح من أسلحة الدعوة.

ومن هذه الأهمية تبرز أمامنا أهمية الكلمة في حد ذاتها، والتي يجب وأن تكون بانية هادئة، وأن تكون طيبة وحسنة، وهذا هو سر وجودها وخلودها، ولن تخلد الكلمة على الأجيال إلا إذا اتصلت بالحق والخير، وكان لها من قوانين الله في خلقه سند، ومن إلهامه عبادة، وقد يرمى الظالم بالكلمة فتحرق لكنها سرعان ما تحبوا. أما الصادق المحق فإن كلماته خالدة.

إن الكلمة كما تحمل عبقرية البناء، فإنها تحمل عبقرية الهدم إذا صح التعبير، ثم إنها مفتاح شخصية الرجل الذي يتيح لك الدخول إلى أعماقه.

وقد كره الرسول الكريم ﷺ شيوع الكلمات التي تؤذى المشاعر، فمع أن

القرآن الكريم والسنة المطهرة تحدثا عن السرقة بإسمها الصريح، إلا أن رجلاً شهد بين يدي الرسول ﷺ: بأن هذا الرجل سرق. فقال له: أفلا قلت أخذ؟! ورغم أن المعنى واحدة، لكن اللفظ الحسن يطهر الجو العام.

وعلى الجانب الآخر يعين الإنسان على أمر الله، هذه في الأخلاق في الإسلام، وهذا ما يجب السير عليه في كل مناحي الحياة المختلفة. يقول المولى عز وجل: " لَا تُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا. [النساء: 148]

وذلك حتى لا تترك الكلمة المسموعة آثارها في الأسماع (إلا من ظلم) فيجوز له أن يجهز بمظلمته. على أن هذا الاستثناء تارك أثره إذ يصبح عقلياً يتهدد الظالمين فلا يعودون، وإذا علم المسلم أن من أسلحة الشيطان الماضية: كلمة السوء يحول بها لسان المسلم لتقطع ما أمر الله به أن يوصل، إذا علم ذلك كان عند حسن الظن به ملتزماً بالقول الحسن ليقطع الطريق على الشيطان. وفي ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: 53]

دور ثقافة الخطيب في تجديد الخطاب الديني:

إن الخطيب لا يمارس وظيفته من فراغ، فلا بد من مصادر ثقافية تحيي قلبه، وتمده بثروة من الموضوعات والمعاني والحلول اللازمة لمشاكل الفرد والمجتمع. فإذا لم يجدد الخطيب حياته الفكرية بزاد متجدد من المعرفة يواكب به الحياة المتغيرة، فسوف يكرر نفسه دائماً، وبالتالي لن يحس الناس بحاجة إليه، وسينصرفون عنه إلى غيره ممن يقدرون وظيفتهم ودورها حق قدرها.

فإلى جانب القرآن الكريم والسنة المطهرة، تأتي الوقائع التاريخية؛ ثم وقائع الحياة الإنسانية والكونية، إلى جانب كثير من العلوم التي لا بد من الإمام بها، أو استيعابها ليتمكن الخطيب من تحمل مسؤولية البلاغ بهذا الزاد المستمد من هذه

الروافد جميعاً. فإذا كان الإيمان بالله تعالى أساس بنيانه كله، وكانت الأخلاق الفاضلة سلاحه في معركته مع شياطين الإنس والجن، فإن الثقافة الحية، والتأمل الواعي في مسار الحياة، هو الجانب الفكري إلى جانب الأسلحة الإيمانية.

نصف إلى ذلك الأسلوب في الحديث مع الناس، والأخذ في الاعتبار التباين في الثقافات والعلم والعادات والأعراف، وغيرها من القيم التي تؤثر على استجابة المتلقي لما يسمعه من كلمات. فعلى الخطيب أن يتأسى بالرسول الكريم في أسلوب الخطابة، وأن يسعى إلى الأخذ من ملامحه ﷺ فيها، ومنها على سبيل المثال لا للحصر:

- 1- كان النبي الكريم ﷺ يعبر باللفظ القليل عن المعاني الكثيرة.
- 2- كان بعيداً عن التكلف والسجع الممقوت، فجاء حديثه واضحاً بسيطاً بلا غموض أو تعقيد.
- 3- رعاية مقتضى حال المستمع.
- 4- البعد عن اللفظ الغريب إثارةً للفظ المأنوس والمألوف، بقدر ابتعاده عن الألفاظ المتبذلة.
- 5- كان كلامه موقفاً واصلًا بالحجة إلى موطن الإقناع في نفس الإنسان بلا تجريح.
- 6- كان أسلوبه صافياً كنفسه الصافية، مباشراً دون اللجوء إلى الألفاظ البراقة بلا مضمون شريف.

وبهذه الأمور وغيرها الكثير كان حديثه ﷺ شريف المعنى، حسن الأسلوب؛ ومن ثم صار أفضل الكلام على الإطلاق بعد كلام الله عز وجل. (محمود (1989)؛ عمارة (1986)).

من كل ما سبق يتضح لنا أن الدعاة الآن في حاجة ماسة إلى الإعداد الجيد، حتى يقوموا بدورهم على أكمل وجه، وحتى تستعيد المساجد دورها التنويري إلى جانب كونها دوراً للعبادة.

كما أن على الداعية دوراً كبيراً، ومجهوداً يتعاضم كلما ظهر جديد على الساحة الحياتية، بتثقيف نفسه بالإطلاع على كل جديد، والبحث والدراسة المتعمقة خاصة وأن القضايا في ازدياد مستمر، والاختلاف حولها أيضاً في ازدياد، مع كثرة الفضائيات الدينية بدعاتها وآرائهم المختلفة، إما عن حق، أو لمجرد الشهرة وجذب الانتباه.

من كل هذا نوصى بالآتي:

- عمل دورات تدريبية للدعاة يكتسبون من خلالها مهارات الاتصال الإنساني، والعرض والتقديم، وغير ذلك من المهارات والأساليب التي تساعدهم في إيصال رسالتهم إلى الناس.
- ضرورة عقد اختبارات قبل القيام بالعمل كداعية في المعلومات العامة، نلتمس منها مدى ثقافة الداعية، وأيضاً التعرف على معتقداته الفكرية، حتى لا تتحول بعض المساجد إلى خلايا يتم فيها إعداد كوادر تخريبية بإسم الدين، والدين منها براء.
- ضرورة تطوير المناهج الدينية، وزيادة الاهتمام بالأبحاث العلمية خلال سنوات الدراسة، وأن يكون التعليم الديني قائم على الحوار والمناقشة، إلى جانب التلقين والحفظ فيما يخص مواد القرآن الكريم، والأحاديث النبوية.
- ضرورة الاهتمام بعلوم المجتمع، والتطور التكنولوجي الهائل والمتزايد بصورة تجعل في كل يوم.. جديد، يسحب البساط من تحت أرجل الدعاة؛ ومن ثم مزيد من فقد المسجد لدوره التنويري والتثقيفي.
- ضرورة زيادة رواتب الدعاة بالقدر الذي يتناسب مع خطورة مهنتهم ودورها في المجتمع. على (2011: ص 120)

دور التنشئة الاجتماعية الأخلاقي:

من المسلمات في حياة الفرد أن التنشئة الاجتماعية في أساس سلوكه فيما بعد، بل في ركيته شخصيته الأساسية، فالفرد يبدأ حياته بعد الميلاد بجهل عام عن كل ما

يحيطه، تحركه غرائزه في البقاء، وبمرور الوقت يكتسب المعارف والمهارات والقيم والتقاليد والأعراف، بالإضافة إلى ديانته، والتي عادة ما تكون وراثية عن الأسرة، تلك القضية التي شغلت الكثير من المفكرين والعلماء، وإن كان هذا ليس مجال موضوعنا، إلا أنه قاعدة نطلق منها إلى المفهوم الأساسي لدور الأسرة في صناعة الإنسان بصفة عامة، وفي صناعة الموظف العام بصفة خاصة.

ولا يفهم من ذلك أن دور الأسرة في الحياة الهدف منه فقط.. صناعة الموظف!، ولكن المقصود هو إلقاء الضوء على جانب من جوانب شخصية الموظف، والذي يتشكل بناء على ما ورثه من قيم وأخلاق ومبادئ يدور في فلکها سلوكه المهني.

فمن الأمور التي تغيب عن بالنا عند مناقشة أسباب فساد موظف هو الأمر الذي يتعلق بقابليته للفساد دون أن يردعه دين، أو قيم، أو ضمير يعيده إلى صوابه، مما يسحبنا إلى مفهوم المجتمع المثالي بالنسبة للفرد، والذي يتشكل حسب مفاهيم ذلك المجتمع الذي يعيش فيه بداية من الأسرة، والحي، والمدينة، ونهاية بالمجتمع ككل. فمجتمع اللصوص مثلاً القيمة الإنسانية والمكانة العالية فيه للصاهر، وهذا المجتمع ينشأ فيه الطفل نشأة تقوم على السلب والنهب، ويكون الفرد صاحب القيم والمبادئ والتدين منبوذاً فيه، إذن فمجتمع اللصوص هو المجتمع المثالي بالنسبة للص.. السرقة فيه أمر عادي، بل ومطلوب!.

لذلك فالتنشئة الاجتماعية من الأهمية التي جعلت الكثير من الدراسات التربوية والنفسية والاجتماعية تهتم بأساليب التأثير في سلوك الأبناء، فسلوك الفرد هو مجموعة من المكتسبات السلوكية الناتجة عن التنشئة الاجتماعية بصفة عامة، وأساليب التربية التي تنتهجها الأسرة بصفة خاصة، فلأسرة الدور الأول والأهم فهي بمثابة البوابة التي يدلف منها الإنسان إلى العالم الخارجي، ويتعامل معه بما اكتسبه من معارف ومهارات وقيم وعادات، ويبرز هنا دور الآباء في إكساب الإنسان العادات السلوكية؛ خاصة تلك التي يتوقف عليها المجتمع، والجماعات الإنسانية على اختلافها.

ومما يزيد الأمر خطورة، أن سلوك الفرد قد يضر المجتمع بأكمله؛ حينما يتولى ذلك الفرد منصباً يتطلب إجراءات تتوقف عليها سلامة مجتمعه اجتماعياً، أو سياسياً، أو اقتصادياً، أو أخلاقياً، إلى آخره من الأمور التي قد تضر بالمجتمع. (على، أبريل 2009)

مفهوم التنشئة الاجتماعية:

التنشئة الاجتماعية في العملية التي يتحول من خلالها الفرد، بل بواسطتها، من كائن بيولوجي إلى فرد اجتماعي، فالرضيع مثلاً تحركه في أيامه الأولى حاجة بيولوجية عضوية واحدة، ونجدّه بعد عدة سنوات لا يتناول طعامه إلا وفق آداب وسلوك معين، ودراسة التنشئة الاجتماعية وأساليب معاملة الوالدين، إن في إلا دراسة لهذه النقطة الكبيرة في حياة الفرد، وهي تكشف عن الظروف والعوامل التي تحدثها وتؤثر فيها.

وجدير بالذكر أن التنشئة الاجتماعية تحددها معايير عامة تنطبق على كل المجتمعات، فالتنشئة عملية مستمرة ومتواصلة تبدأ من الطفولة، وتستمر طوال حياة الإنسان تحدها الثقافة المجتمعية التي يحيا تحت مظلتها.

لذا تعمل التنشئة الاجتماعية على التوفيق بين دوافع الفرد ورغباته، وبين مطالب واهتمامات الآخرين المحيطين به، وبذلك يتحول الفرد من طفل متمركز على ذاته ومعتمد على غيره هدفه إشباع حاجاته الأساسية، إلى فرد ناضج يتحمل المسؤولية الاجتماعية ويلتزم بالقيم والمعايير السائدة؛ ومن ثم تنشأ لديه القدرة على كبح جماح رغباته وضبط انفعالاته، وصنع علاقات اجتماعية سليمة مع غيره.

ويمكننا أن نجمل المفاهيم الخاصة بالتنشئة الاجتماعية، في النقاط التالية:

1- في العملية التي تتناول الكائن الإنساني البيولوجي لتحويله إلى كائن اجتماعي، وتحوله من كائن تغلب عليه حاجات عضوية بيولوجية، إلى كائن تغلب عليه حاجات ودوافع ذات أصل اجتماعي.

- 2- في العملية القائمة على التفاعل الاجتماعي، التي يكتسب فيها الطفل أساليب ومعايير السلوك والقيم المتعارف عليها في جماعته؛ بحيث يستطيع أن يعيش فيها، ويتعامل مع أعضائها بقدر مناسب من التناسق والنجاح.
 - 3- في العملية التي بواسطتها يتعلم الفرد طرائق مجتمع ما، أو جماعة ما حتى يستطيع أن يتعامل معها؛ ومعنى هذا أنها تتضمن تعلم واستيعاب أنماط السلوك والقيم والمشاعر المناسبة لهذا المجتمع أو الجماعة.
 - 4- في عملية تفاعل يتم عن طريقها تعديل سلوك الشخص؛ بحيث يتطابق مع توقعات أعضاء الجماعة التي ينتمي إليها.
 - 5- في العملية التي ينشأ عن طريقها لدى الطفل ضوابط داخلية توجه سلوكه وتحده وتقيده أيضاً، كما تنشئ لديه الاستعداد لمطابقة الضوابط الاجتماعية المختلفة.
 - 6- في عملية تعلم قائم على التفاعل الاجتماعي، يتم من خلاله اكتساب الفرد طفلاً كان أم راشداً، سلوك ومعايير وقيم تمكنه من مسايرة جماعته، كما تكسبه السلوك المناسب لأدوار اجتماعية معينة، ولتوقعات أعضاء جماعته، بالإضافة إلى إيجاد ضوابط داخلية للسلوك.
- ومن هذه المفاهيم يمكن لنا أن نخرج بمفهوم شامل عن التنشئة الاجتماعية؛ وهو: إنها عملية تنشئة سياسية ووطنية ودينية وأخلاقية واقتصادية وقومية وأسرية ومهنية؛ بحيث تؤدي إلى تكوين شخصية متكاملة ومتكيفة تكيفاً حسناً. فالإنسان يكتسب الأخلاق في مرحلة الطفولة والمراهقة، وإن كان في الإمكان أن يظل الإنسان يكتسب المعلومات والمعارف والقيم الأخلاقية طوال حياته، مما يضمن أهمية قصوى واستمرارية لدور الأب والأم المتواصل فالأدوار متعددة ومتواصلة.

خصائص عملية التنشئة الاجتماعية:

- 1- أن سلوك الفرد يرتبط تدريجياً بالمعاني التي تتكون عنده في المواقف التي يتفاعل فيها.
- 2- تتحدد هذه المعاني بالخبرات السابقة التي مر بها الفرد، وعلاقة تلك الخبرات بالمواقف الراهنة.
- 3- أن الطفل يولد بين جماعة حددت فعلاً معاني معظم المواقف العامة التي تواجهه، وكونت لنفسها قواعد مناسبة للسلوك فيها.

أثر غياب التنشئة الاجتماعية:

إن غياب التنشئة الاجتماعية يجعل سلوك الإنسان أشبه بسلوك الحيوانات، فهي عملية تكسب الفرد إنسانيته، وإما أن يكون سوياً أو شاذاً منحرفاً عن قيم المجتمع وآدابه.

أهمية مرحلة الطفولة في عملية التنشئة الاجتماعية:

إن عملية التنشئة الاجتماعية للطفل في غاية الأهمية بالنسبة لتكوين شخصيته وتكوين ذاته، وتتوقف هذه العملية على عادات المجتمع وتقاليده وقيمه والاتجاهات الفكرية السائدة فيه، وعلى العرف والقانون والمعايير الخلقية والاجتماعية والعقيدة وأنماط السلوك المختلفة، أو على ثقافة المجتمع.

ومن الحقائق الواجب معرفتها، أنه كلما تقدم المجتمع في مضمار الحضارة، كلما زاد اهتمامه بأطفاله وزادت أوجه الرعاية التي يقدمها لهم، ويمكن التعرف على معدلات الاهتمام من خلال معدلات الوفيات بين الأطفال، وأيضاً معدلات التسرب من التعليم، وانتشار مبيعات الكتب، وانتشار مكتبات الطفل، وغيرها من مؤشرات تحضر المجتمع من عدمه.

ويرجع ضرورة الاهتمام بالطفل، لأنه رجل الغد في كل مجال من مجالات

حياة المجتمع، ولأن ما يلقاه الطفل من خبرات سارة، أو مريرة يترك آثاره على حياة الطفل فيما بعد، فحياة الإنسان سلسلة من الحلقات المتصلة يتأثر فيها الحاضر بالسابق، كما يؤثر الحاضر في المستقبل، ولا شك أن خبرات الطفولة تنعكس على شخصية الطفل في شتى مراحل حياته.

وتعود أهمية تلك المرحلة (الطفولة) إلى طبيعة الطفل ذاته، فهو في مرحلة تكوين وإعداد وتشكيل لشخصيته، لكونها في البداية لينة يسهل تشكيلها بالشكل المراد، كما أن خبراته تكون قاصرة ومحدودة وقدراته غير ناضجة ومعارفه قليلة، فكما قال الفيلسوف الإنجليزي (جون لوك): (يولد الطفل وعقله صفحة بيضاء تنقش عليها التجربة ما تشاء)؛ بمعنى أن شخصية الطفل وأفكاره وقيمه ومثله وليدة الخبرة والتجربة. بالإضافة إلى الاهتمامات العديدة لعلماء النفس بمرحلة الطفولة، على أساس أنها المرحلة التي توضع فيها جذور الشخصية الأولى، ويمكن أن نجمل أوجه الرعاية بالطفل في النقاط التالية:

- الرعاية الصحية.
- رعاية النواحي الروحية والخلقية.
- رعاية النواحي الاجتماعية.
- الرعاية النفسية للطفل.

وجدير بالذكر أنه لا ينبغي أن نهتم بجانب من شخصية الطفل، وإهمال الجوانب الأخرى، فالشخصية كل متكامل منسجمة الأركان؛ أي أن يكون الطفل ناضجاً وواعياً روحياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً وعلمياً ومهنياً، ولا يجدي أن يتفوق الطفل في جانب من شخصيته على حساب الجوانب الأخرى، وحتى يتحقق ذلك، هناك جوانب على الأسرة بصفة خاصة، والمجتمع بصفة عامة أن يأخذ بها إذا أراد أن ينشئ الفرد تنشئةً صالحةً؛ ومنها:

- 1- الجوانب الإيمانية أو الروحية أو الدينية.
- 2- الجوانب الأخلاقية.

- 3- الحب والعطف والحنان.
- 4- النظام والطاعة والانضباط.
- 5- تعلم القيام بالدور المناط بجنس الطفل.
- 6- الحاجة إلى تعلم الهوية والاستقلال.
- 7- الشعور بالانتماء والولاء.
- 8- تعلم عموميات الثقافة، بما في ذلك من دين ولغة وعادات وقيم ومثل وأعراف وعقائد وقوانين وأمناء سلوك.
- 9- تعلم الضبط الذاتي.
- 10- تعلم التعبير عن الذات.

دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية:

كما سبق؛ نجد أنفسنا أمام مسؤولية تقع على عاتق الأسرة بداية، ثم على المدرسة بصفة عامة والمعلم بصفة خاصة، تلك المسؤولية التي تحمل من الواجبات ما يؤهل الفرد لتلقى دور المجتمع ككل في إكمال تنشئته الاجتماعية، بالإضافة إلى تقوية قدراته في مواجهة مجتمعه إذا كان فاسداً منحرفاً.

ولزاماً علينا طبقاً للتسلسل المنطقي للأدوار والأحداث أن نبدأ بدور الأسرة، والتي تلعب دوراً هاماً وأساسياً في تشكيل شخصية الطفل، ورسم ملامحه الأخلاقية والتي سيواجه بها المجتمع فيما بعد.

ومما يضيف على هذا الدور أهمية فوق أهميته؛ بل على الأحرى خطورة فوق أهميته، أن التنشئة الخاطئة، والأخذ بأساليب التربية السيئة تؤدي إلى كوارث مجتمعية تعود بالضرر على الفرد؛ ومن ثم على المجتمع ككل. فكما أن للأسرة دوراً في تنشئة الطفل تنشئة صالحة تنفع الفرد والمجتمع، فإن على النقيض من ذلك لها دورها في جنوح الأحداث، وغرس بذور الفساد في كل المجالات، وتشويه ملامح شخصية الطفل، فالأمر جد خطير فمستقبل الأمم لا يجب أن يتم التعامل معه

باستخفاف، ولا يجب أيضاً أن نختصر حقوق الفرد بداية من طفولته مروراً بمراحل حياته المختلفة في لقمة العيش والدواء وكافة الحقوق المادية الأخرى فقط، بل يجب أن يكون الاهتمام عاماً منصباً في البداية على تكوين شخصية الفرد تكويناً سوياً نافعاً، ويلى ذلك بقية الحقوق المادية الأخرى.

ومما لا شك فيه أن الأسرة تمثل في المجتمع أكبر مؤسسة تسهم في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل، ولكي يستطيع الأبوان تطبيع الطفل فإنهما يضعان عدة قواعد، ويحاولان وضعها موضع النفاذ من خلال أي من العمليات الآتية:

1- التعزيز، أو الإثابة؛ أي إعطاء المكافآت.

2- العقاب.

3- توفير القدوة أو النموذج الذي يحتذى به.

إن معرفة الطفل للصواب والخطأ تعد مسألة أساسية في نجاح عملية التنشئة الاجتماعية، وجعلها صالحة ونافعة له ولمجتمعه، فكما هو معروف أن الطفل يكتسب من خلال نشأته الاجتماعية قيم المجتمع ومثله وقواعده ونظمه وقوانينه وعاداته وتقاليد وأعرافه بالإضافة إلى اللغة والدين. مع الأخذ في الاعتبار أن الصواب والخطأ يختلف تحديده ومعايير تعريفه من مجتمع إلى آخر، ورغم هذا هناك جوانب يمكن منها معرفة الصواب والخطأ، وذلك من خلال:

- الغرائز.
- المعرفة الداخلية.
- من عند الله سبحانه وتعالى.
- عملية التربية أو التنشئة الاجتماعية.
- الإحساس بالذوق العام.

العلاقة بين الأبوين والطفل في الإسلام:

إن مفهوم العلاقة بين الأبوين والأطفال أمر أساسي في التربية الخلقية، والإسلام يتعامل مع تلك العلاقة بالتفصيل من خلال المفاهيم التالية:

1- حقوق الطفل واجبات الأبوين:

إن واجباً مقدساً يقع على عاتق الطفل هو ألا يكون سبباً للأذى لوالديه، وعلى الأبوين ضمناً أن يبادلا الطفل نفس السلوك. والإسلام حساس بشكل حاد فيما يتعلق بالاعتماد الكبير للطفل على أبويه، إن دور الإسلام الحاسم في تكوين شخصية الطفل لأمر يعترف به الإسلام بوضوح، قال الرسول ﷺ فيما معناه: إن الطفل يولد على الفطرة ويحوله أبواه فيما بعد إلى يهودي أو مسيحي أو وثني...، والمحافظة على حياة الطفل في أحد تعاليم الإسلام الرئيسية.

وهناك مجموعة أخرى من الحقوق تتعلق بوضع الطفل في المجتمع وبتنشئته وبالاهتمام به بصفة عامة. وتعد العناية بالأطفال أحد الأعمال المستحبة في الإسلام، والاهتمام بخير الطفل والمسئولية عن هذا الخير أمران يتمتعان بالأولوية، ولهما أهمية دينية واجتماعية في نفس الوقت، فمن حق الطفل أن يحظى بأقصى درجة من العناية، سواء كان أبواه على قيد الحياة، أو متوفيان، وسواء كانا غائبين أو حاضرين، معروفين أو مجهولين، وفوق ذلك كله تقع على البالغين مسئولية الإرشاد الدائم للطفل، لكي يصبح مواطناً ناضجاً ومتوازناً، والمطلوب من الأبوين بصفة خاصة أن يغرسا القيم الأخلاقية الحميدة في نفوس أطفالهما.

2- واجبات الطفل وحقوق الوالدين:

إن العلاقة بين الأبوين والطفل علاقة يكمل بعضها بعضاً، ويرتبط الأبوان والطفل في الإسلام عن طريق الواجبات والالتزامات المتبادلة. فمن حق الأبوين أن يحظيا بالتعاطف والصبر والاعتراف بالجميل والعطف والاحترام وبالصلوات من

أجل رويهما، ومن حق الأبوين أيضاً أن يحظيا بطاعة أطفالهما، وعلى الأطفال تقع مسئولية كفالة ورعاية والديهما عند الحاجة. عفيفي (2006: متعدد)

وتجدر الإشارة إلى أن من أهم مميزات الإنسان أنه مرن قابل للتعديل، وتبدأ عملية التطبيع الاجتماعي في الأسرة؛ حيث يتم إشباع حاجات الطفل والمحافظة على حياته، وبسبب عدم قدرة الطفل الصغير على الاختيار، فإن للأسرة تأثيراً قوياً جداً عليه فهو يعتمد اعتماداً كلياً على أسرته في حياته، والاعتمادية هذه تؤدي إلى توحد الطفل مع أسرته، أو تقمصه لشخصية الآباء والأمهات identification كنموذج يحتذى للسلوك، وتصبح الأسرة الجماعة المرجعية للطفل reference group، وبعد ذلك وبمرور الوقت، يصبح اكتساب أنماط مختلفة من السلوك الاجتماعي، بما في ذلك العدوان aggression عن طريق تقليد بعض النماذج التي تبدو جذابة للطفل. إلا أنه ليس كما يعتقد البعض أن التقليد ألياً أو ميكانيكياً، أيضاً ليس منتشرأ كثيراً كما يتصور بعض الكتاب، ولكنه يحتاج إلى بعض المكافآت لإظهار السلوك المقلد.

وتجدر الإشارة إلى أن نوع الإنسان يفرض نمط معين من التعامل يتناسب وسلوك كل نوع، فقد وجدت فروق بين الجنسين في النواحي الآتية:

- العدوانية.
- السيطرة أو التسلط.
- مساعدة الآخرين.

وقد وجد أن الذكور أكثر عدواناً وأكثر تسلطاً عن الإناث اللاتي هن أكثر تقديماً للمساعدة للغير، وأكثر اعتباراً لراحة الآخرين، كما أن إسهامات المرأة أقل في الجماعات التي يوجد فيها رجال، بعكس الرجال الذين لا يقل أداءهم في حالة وجود النساء، وفي الجماعات المختلطة الجنس يقل اختيار النساء قادة، ويقل أن ترى النساء أنفسهن قادة.

وقد يرجع ذلك إلى طبيعة العمل المطلوب والذي يتجه نحو الجنس الآخر، ورغم ذلك فإن للمرأة، والتي في أم، أدوار بارزة ورئيسية في عملية التنشئة الاجتماعية، يمكن أن نجملها في النقاط التالية:

1- دورها في الأسرة كام؛ حيث تقوم بدور المربي الأول للأطفال بالتعاون مع الأب في إعداد وتربية أبنائهما إعداداً صالحاً للحياة، ولا نبالغ إذا قلنا أن الأم في الضمير الخارجي للطفل الذي يحدد له المسموح والممنوع من قيم وعادات، وتبذر في تربته البكر بذور الأخلاق، وما سيكون عليه مستقبلاً من قيم وسلوك. بالإضافة إلى قيامها بإشباع حاجات الطفل المادية والنفسية والاجتماعية والروحية والخلقية، وتشعرهم بالدفء والحب والحنان وتكسبهم قيم الدين، ولا شك أن هذا الدور إذا تم كما يجب أن يكون، يحول دون وقوع الأطفال ضحية للانحراف أو الشذوذ أو المرض.

2- ولا ينتهي دور الأم عند هذا الحد، بل يمتد إلى مرحلة التعليم من الحضانه إلى الثانوية إلى جانب دور المدرسة، بالإضافة إلى دورها داخل المدرسة كمعلمة تسهم في تربية النشء في هذه السن الخطرة، وخاصة في مدارس البنات؛ حيث تمثل القدوة والمثل الذي يقتدى به أمام الكثيرات من الطالبات، مما يوجب عودة دور المدرسة التربوي، وأنه لا يجب أن يقف دورها عند حد التعليم فقط.

3- وحيث أبلت المرأة بلاءً حسناً داخل الحقل الجامعي، فإن دورها في هذه المرحلة حلقة أخرى تضاف إلى الحلقات السابقة من حلقات التربية والإرشاد؛ حيث تساهم في إعداد الأجيال الجديدة من أرباب التخصصات العلمية والمهنية المختلفة، وتمثل المرأة هنا دور الريادة لكثير من الطلاب، وعلى المرأة في هذا الدور أن تعمل على تصويب سلوك الطالبات ومساعدتهن في إعادة التكيف وحل مشكلاتهن وأزمتهن، ويكتسب هذا الدور خطورته من أنه الدور الذي يسبق المرحلة العملية للإنسان وخروجه إلى مجالات العمل المختلفة، والذي

يكتسب أهميته من أنه ركن من أركان المجتمع مهما كان حجم العمل وبساطته، أو بعده عن مصادر الانحراف ومغرياته.

وحسبنا دليل على خطورة دور الأسرة في تكوين شخصية الفرد، أن هناك بعض طرق وأساليب التربية الخاطئة، والتي تؤدي إلى أضرار تصيب الفرد وتؤثر على حياته فيما بعد؛ ومن ثم على المجتمع ككل، ويمكن أن نجملها في النقاط الآتية مع تبين أضرارها:

- الإسراف في تدليل الطفل وتلبية رغباته مهما كانت غريبة، وهذه الطريقة تؤدي إلى عدم تحمل الطفل المسؤولية فيما بعد، فضلاً عن اعتماده على الغير. والأخطر من ذلك هو عدم تحمله مواقف الفشل والإحباط في الحياة الخارجية، مما يؤدي إلى تلبية رغباته بكل الطرق، مما يسهل انحرافه تلبية لمطالبه التي اعتاد على تلبيةها من أسرته.
- الإسراف في القسوة والشدة مع الطفل، وعقابه بصورة مستمرة وصدده كلما أراد التعبير عن نفسه. وهذا الأسلوب يؤدي بالطفل إلى الانطواء والانسحاب من الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى شعوره بالنقص وعدم الثقة بالنفس مع صعوبة تكوين شخصيته، فضلاً عن كرهه للسلطة الوالدية، والخطير في ذلك أن هذا الكره قد يمتد إلى كره السلطة الخارجية في المجتمع، ومعارضتها متمثلة في سياسة العمل، بل وسياسة الدولة ككل.
- التذبذب بين الشدة واللين، ومن أضرار هذا الأسلوب: صعوبة معرفة الصواب والخطأ وعدم القدرة على التفريق بينهما، مما يفسر قناعة المنحرف بانحرافه وأنه لا يرتكب جريمة بفعلته، بالإضافة إلى التردد وعدم حسم الأمور، وأيضاً كفه عن التعبير عن آرائه ومشاعره مما يعطل من حركة الإصلاح المنشود، نتيجة عدم حسمه للأمور إذا كان قائداً يترتب على قراراته تغيير في سياسة إدارته، أو نتيجة كبت أفكاره وآرائه كموظف في إدارة قد تسهم آرائه في تطوير أداؤها.

- الإعجاب الزائد بالطفل مما يشعره بالغرور، وأنه أفضل من الجميع نتيجة تضخيم صورته عن ذاته. مما يؤدي إلى إحباطه وفشله عندما يصطدم مع غيره من الناس ممن يملكون نفس القدر من الإعجاب، أو أكثر، مما يشعره بأنه عكس ما كان يرى بأنه الأفضل.
- الحماية الزائدة للطفل، وإخضاعه لقيود الرعاية المبالغ فيها، مما يصنع من الطفل شخصاً هيباً يخشى اقتحام المواقف الجديدة، بالإضافة إلى عدم اعتماده على ذاته.
- اختلاف وجهات النظر في تربية الطفل بين الأم والأب، وهذا الأسلوب من أخطر الأساليب السلبية في التربية؛ حيث يؤدي إلى أن يكره الطفل والده ويجب والدته، أو العكس، وينسحب ذلك الشعور فيما بعد إلى حياته العملية حيث يتشكل انطباعه عن قياداته، وانتمائه للمنظمة؛ ومن ثم لدولته ككل حسب ما يلقاه من معاملة حسنة وتلبية لرغباته، حتى ولو لم تتفق مع الصالح العام، مما يخلق علاقة نفعية بين الفرد ومجتمعه، فهذا الأسلوب من التربية يؤدي إلى فقد القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ، أو الحلال والحرام، وهذا الأثر السيء قد يظهر نتيجة أسلوب آخر من أساليب التربية، ألا وهو استخدام أحد الطرفين الأب أو الأم في حالة انفصالهما المغريات المادية سلاحاً يشهره في وجه الآخر، مما يؤدي إلى أن يتعلم الطفل أسلوب (العمالة) والتبعية، وكيف يبيع تأييده للغير نظير الحصول على مكاسب، مما يجعل منه تربة خصبة لنمو الانحراف والفساد.

نصف إلى ذلك دور الأسرة في جناح الأحداث، فقد اتجه الكثير من الباحثين إلى دراسة العلاقة بين التفكك الأسري وبين جناح الأحداث، وللتفكك الأسري تعريفات ومعاني عديدة؛ تؤدي في النهاية إلى انحراف الأحداث من خلال الظروف الآتية:

1- أن الطفل داخل الأسرة المفككة يتشرب المواقف والقواعد غير السوية، ونماذج السلوك المنحرف من أفراد الأسرة المنحرفين أو المجرمين، ولا شك أن هذا الجو الفاسد لا يسمح للطفل أن ينمى في نفسه ضميراً قوياً رادعاً، بل يبقى ضميره عاجزاً لا يقوى على محاسبة صاحبه على أخطائه وأفعاله التي تتعارض مع قيم الدين والمجتمع، ويؤكد على ذلك علماء النفس عند حديثهم عن الأنا الأعلى (Super- ego أو الضمير)، ويظهر أثناء مرحلة الطفولة، وبالذات عندما يبدأ الطفل في تعلم ضبط إخراجيه.

2- قد يؤدي غياب أحد الوالدين، أو كليهما في كثير من الحالات، إلى انحلال كيان الأسرة وتصدها، وهو أمر قد يمهد بالتالي إلى شيوع جناح الأحداث بين أبناء تلك الأسر.

3- يؤثر ضعف النظام في الأسرة، ونقص رقابة الوالدين بسبب التوجيه الخاطيء أو الجهل أو ضعف الوالدين الصحي، تأثيراً سلبياً على سلامة تربية النشء داخل الأسرة، وهو أمر يساهم في زيادة احتمالات شيوع ظاهرة جناح الأحداث بين أبناء تلك الأسرة.

4- يعتبر عدم التجانس المنزلي وحالات التفكك الأسرى، من العوامل التي تؤدي إلى زيادة احتمالات انحراف الأحداث، وذلك كما يشاهد في حالات سيطرة أحد أعضاء الأسرة على الآخر، أو على الجميع، أو كما يبدو في حالات المحاباة بين أفراد الأسرة الواحدة، وتفضيل البعض الآخر، والتجنيب أو العزل أو السخرية تجاه أحد أفرادها.

وقد رأى علماء الاجتماع، أن الجريمة في كل انحراف عن المعايير الجمعية التي تتصف بقدر هائل من الجبرية والنوعية والكلية؛ ويعنى ذلك أنه لا يمكن أن تكون ثمة جريمة، إلا إذا توافرت الأركان الثلاثة الآتية:

1- قيمة تقدرها الجماعة وتحترمها طائفة هامة من الناحية السياسية من طوائف تلك الجماعة.

2- انعزال حضاري أو صراع ثقافي يعمل عمله في داخل طائفة أخرى من طوائف تلك الجماعة، فلا يعود أفرادها يقدرّون تلك القيمة، أو لا يصبح لها من الأهمية في نظرهم مثل ما لها في نظر الآخرين، وبناءً عليه يصبحون مصدر خطر تلك الجماعة.

3- اتجاه عدائي نحو القسر أو الضغط من جانب أولئك الذين يقدرّون تلك القيمة الجمعية، ضد أولئك الذين لا يكون الاحترام أو التقدير.

ومن الجدير بالذكر أنه عند حدوث أي جريمة من الجرائم، فإن هذه الشبكة من العلاقات لا بد من أن تتمثل في صميم تلك العملية المعقدة التي يطلق عليها اسم الجريمة.

وهناك من يعرف الجريمة اجتماعياً بأنها: الفعل الذي تعتقد فيه الجماعة سواء عن حقيقة أو وهم بأنه ضار بمصلحتها الاجتماعية ومهدد لكيانها، ومهما اختلفت التعريفات، فإن من الأمور الضروري ذكرها، أنه ليس كل سلوك تجرمه الجماعة يعتبر سلوكاً إجرامياً بالفعل، بل قد يحدث كثيراً أن يكون السلوك - وإن تعارض مع الجماعة - سلوكاً سويّاً، أو بالعكس.

لذلك يمكننا أن نحدد تعريف الجريمة بأنها: عبارة عن مخالفة للمعايير الجمعية التي تعود بالضرر على المجتمع، سواء نص القانون على اعتبار هذا الانحراف السلوكي جريمة كالسرقة أو القتل، أو لم ينص صراحة عليه، أو بالتحديد سلوك منحرف يصعب ضبطه كالإهمال والتقصير، أو الإسراف في استخدام أوراق الكتابة ومرافق المنظمة؛ كالإضاءة والمياه والاتصالات الهاتفية خارج إطار العمل.

وما يعيننا من مفاهيم، أن الجريمة لدى الشخصيات المعتلة على الأقل امتداد مباشر لاستعداد إجرامي مكتسب في الطفولة المبكرة، وهو استعداد يجعل الفرد أشد تأثراً بالآثار السيئة للبيئة الاجتماعية، وينشأ نتيجة لفشل الوالدين خصوصاً

الأم في ترويض الدوافع العدوانية للطفل، وفي عجزها عن فطامه من مبدأ اللذة، إلى الواقع مما يجعله غير قادر على احتمال ضروب الحرمان فيما بعد، واستعداده لإشباع حاجاته المادية بأي وسيلة، سواء كانت صالحة أو فاسدة.

كما سبق؛ نجد أن السلوك الإنساني هو المحدد للأداء الوظيفي للفرد، والذي يمكن تقسيمه بصفة عامة إلى قسمين:

- 1- الأداء الظاهري: مثل الكلام والحركة وكل ما يلحظه المحيطون بالفرد.
- 2- الأداء الباطني: مثل التفكير والتخيل والتصوير، وهو ما لا يمكن ملاحظته من المحيطين بالفرد، هذا الأداء الذي تشكله الأسرة يتمثل في الفساد والانحراف، أو الالتزام والاستقامة.

وبالتعرف على أسباب كل تصرف أو مظهر سلوكي، نجد أن السبب قد يكون شعورياً؛ أي يدركه الفرد نفسه، وقد يكون لا شعورياً؛ أي لا يدركه الفرد. فالسلوك إذن هو محصلة التفاعل بين طبيعة الفرد ونشأته، والموقف الذي يوجد فيه، وأداء الفرد لا يظهر نتيجة لقوى أو ضغوط نابعة من داخل الفرد نفسه فقط، ولكن نتيجة لعملية التفاعل والتوافق بين القوى الداخلية المحركة لأداء الفرد، والتي تتأثر بالعديد من العوامل؛ ومنها:

- العوامل الوراثية.
- العوامل البيئية.
- الثقافة التي ينشأ في ظلها.
- نوع التعلم والخبرات المكتسبة.

وهي عوامل مؤثرة على الأداء الإنساني سواء كان صالحاً أو فاسداً

إن للقيم والمعايير التي يتمثلها الفرد أثرها على سلوكه، فقد باتت ضرورياً التعرف على طابع القيم والمعايير السائدة بين تلك الفئة، فقد وجد اختلافاً واضحاً بين الطابع الثقافي الريفي، والطابع الثقافي الحضري من حيث التأثير على سلوكه.

وقد تبين من خلال دراسة جريمة الاختلاس، أن نسبة الريفيين أو الأفراد الذين قضوا معظم حياتهم في مناطق ريفية لا تزيد عن 17.5٪ من العينة، في حين أن بقية النسبة تقع أمام من قضوا معظم حياتهم بالمناطق الحضرية؛ حيث تبلغ 75٪، ويتضح من ذلك أن الثقافة الريفية أكثر ردياً للسلوك المنحرف، لما تمتلكه من محافظة وثبات على القيم والتقاليد وقوة الوازع الديني، بعكس الثقافة الحضرية التي تخضع لتأثيرات معينة من وظيفة الردع التي تمارسها القيم على سلوك الأشخاص.

كما تبين من الدراسة الخاصة بحالة المختلسين أن 40٪ منهم تعاني من مشكلات أسرية تمارس ضغوطها على سلوك هذه الفئة. كما بينت الدراسة أن نسبة ممن يختلسون يقعون تحت ضغط الحاجة الأسرية، والرغبة في إشباع مطالب الأسرة عالية إذ تصل إلى 77.5٪، وهذه النسبة العالية تدل بشكل واضح عن ضغط الحاجات الأسرية على سلوك الأفراد؛ خاصة ظروف الحياة العصرية التي تتزايد فيها دائرة المطالب اليومية، بالقدر الذي يتجاوز حدود الإمكانيات المتاحة لدى الأشخاص للإشباع؛ ومن ثم يتعاضم دور مؤسسات المجتمع الرسمية في رفع مستوى الفرد المادي لإشباع حاجاته الأساسية.

وفي المقابل فإن هناك ارتباطاً وجدانياً بين المرء وأسرته، مما يسهل من دور الأسرة في التأثير عليه، وإكسابه القيم والعادات والأخلاق، فإذا كانت الأسرة في المؤسسة الاجتماعية، فإننا نجد أنها في نفس الوقت كياناً ذاتياً يتعلق بكل فرد من أفرادها، ذلك أن كل واحد من أبناء الأسرة الواحدة يشعر بأن أسرته تعيش بين جنباته، وأنه قد تشرب منها وتقمص دورها؛ بحيث يجد أنه وأسرته وجهان لعملة واحدة، فإذا نحن تعاملنا مع الأسرة من هذا المنطلق، نستطيع أن نؤكد بحق أن دفاع الفرد عن أسرته؛ إنما هو في نفس الوقت دفاع عن ذاتيته ومكانته، فعلى سبيل المثال؛ إن أي مساس بشرف الأسرة وكرامتها يعتبر في نظر الفرد مساساً بشرفه وكرامته، وعلى هذا النحو نجد أن الفرد من أبناء الأسرة يغضب أشد الغضب عندما يتم الاعتداء على ملكية أسرته، حتى عندما تكون تلك الملكية بعيدة عن

يده، وليس له فيها أية حقوق، والمصالح هنا لا تقتصر على الحقوق المادية فقط، بل تمتد إلى المصالح الأدبية والمعنوية كالنجاح في الامتحان، أو كسب معركة انتخابية إلى آخره من المصالح، والتي يشعر بأن أي إعاقة لأية مصلحة منها؛ إنما في إعاقة لمصالحه هو الشخصية، وقد يمتد غضب المرء دفاعاً عن حقوق أسرته إلى مستقبل هذه الأسرة، فالواقع أن حياة الأفراد وحياة الأسر والمؤسسات الاجتماعية جميعاً، تعتمد على ركائز زمانية ثلاث، وهي الماضي والحاضر والمستقبل.

ويبقى شيء آخر يضيف فاعلية لدور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية، ألا وهو وعى الأسرة بمفردات كل مرحلة عمرية من مراحل حياة الأبناء، ومعرفة كيفية التعامل معها. فعلى سبيل المثال، في مرحلة المراهقة يكون الفرد في حالة من الرفض لكل ما حوله، محتجاً على كافة الأوضاع القائمة بالمجتمع؛ حيث يضيق بكل تقاليد المجتمع والأعراف والقيم الأخلاقية، بل والدينية في بعض الأحيان، وكل ما يجد من حرته ويفرض عليه التزاماً من أي نوع.

وقد يتقلب المراهق فيما بين أقصى اليمين وأقصى اليسار، بين التدين الشديد وبين الإلحاد، أو الانحراف الظاهر دون خشية أو احترام لقيم المجتمع وآدابه، والتي لا تمثل له في النهاية سوى حالة من التخلف الحضاري.

والمثير للعجب أن التدين لدى المراهق يشير إلى رفض ما هو قائم بالمجتمع من أنماط سلوكية، ونفس الرفض نجده في الإلحاد أو الانحراف عموماً، فهو في حالة غضب ضد كل ما هو قائم وموجود في المجتمع من أنماط سلوكية.

وكما تتصف مرحلة المراهقة بالرفض لكل الأوضاع السائدة، ومحاولاتها المستميتة لحل قيود المجتمع، نجد مرحلة الشباب لا تقل في جموحها عن مرحلة المراهقة، وإن كانت الأخيرة تتصف بميلها الشديد للحرية والاستقلالية عن كل الحدود والقيود المجتمعية.

وجدير بالذكر أن هناك فرق فيما بين وجود القيود التي تفرض على حرية

المرء وعلى تصرفاته، وبين وعى المرء بوجود تلك القيود وكرهيته لها، فكثيراً ما تكون القيود موجودة وثقيلة على الأفراد والمجموعات، ولكن يكون هناك افتقار لديهم لإدراك وجود تلك القيود، كما يكونون مفتقرين إلى الإحساس الوجداني تجاهها. مما يفسر لنا على الجانب الآخر افتقار الموظف المنحرف إلى إدراك جرم انحرافه، وأنه لا يفعل شيئاً خطأً، بل على العكس يعتبر فساداً عادياً في ظل مجتمع فاسد يتوارى بفساده خلف القيم والأخلاق الظاهرية، أو في ظل قيود خاطئة لا يفهم معنى لوجودها، وعادة لا يفيق إلا عند العقاب فحينئذ يدرك مدى جرمه من الآثار المترتبة على جريمته من عقاب، بالإضافة إلى النظرة الدونية له من قبل المجتمع، وإن كان هذا لا يمنع ولا يجد من رفضه للمجتمع بكل ما فيه من أعراف وتقاليد وقيم أخلاقية، ويرجع ذلك بالطبع إلى التنشئة الاجتماعية، ومعايير تحديد الصواب والخطأ بها، والمجتمع المثالي الذي يصبو إليه من وجهة نظره بالطبع، والتي تشكلت ملاحظها بفضل الأسرة والمدرسة والمجتمع ككل.

أما إذا تحدثنا عن دور المدرسة كجزء من منظومة التنشئة الاجتماعية، نجد أن البعض يظن أن المدرسة ما في إلا مؤسسة تعنى بتعليم الطالب فقط، دون الاهتمام بتنشئته وتربيته تربية سليمة كمكمل لدور الأسرة التربوي - وهذا خطأ -، فالمدرسة مؤسسة أخلاقية في المقام الأول ودورها مكمل ومتوازي مع دور الأسرة في التربية، وعليها في سبيل ذلك خلق بيئة أخلاقية مناسبة لتحقيق النمو الخلقي للطلاب، وإلا عجزت عن النهوض برسالتها.

إذن هناك علاقة طردية بين اهتمام المدرسة بالأخلاق، وبين نجاحها في أداء رسالتها التعليمية، وتحقيق الهدف الذي أنشأت من أجله.

وعلى ذلك فعلى المعلمين إدراك الآثار الأخلاقية لكل سياساتهم وتصرفاتهم وأقوالهم؛ أي يكونوا على وعى تام بمكانتهم كقدوة ثانية تأتي بعد قدوة الآباء، وحتى يأتي هذا الوعي بثماره المرجوة، يجب أن يقترن بالالتزام الخلقي على مستوى الفرد (المعلم)، وعلى مستوى الجماعة (المدرسة) ككل.

إذن على المعلم أن يكون متمتعاً بأخلاقيات مهنته كمعلم ومربي؛ أي يمتلك معايير السلوك الرسمية وغير الرسمية التي ترشد سلوكهم أثناء أداءهم الوظيفي، ومن جانب آخر تستخدمها الإدارة والمجتمع للحكم على التزام المعلمين.

ويعود الاهتمام بأخلاق المهنة بصفة عامة، وأخلاق المعلم بصفة خاصة لأهمية تلك الأخلاق في تحسين المجتمع، وفي جميع المجالات بتطبيق العدل وتكافؤ الفرص بين الجميع، وإقرار مبدأ الثواب والعقاب، وإسناد الأعمال للأكفأ، والتوجيه النافع لموارد المجتمع، والقضاء على الفساد بسد منابعه بتشجيع أصحاب المواهب والجهد الوفير، حتى لا يتحول المجتمع إلى جماعات من الانتهازين، ويسيطر عليه الزيف والاحتيال، وإسناد الأمر إلى من يفسده.

نصف إلى ذلك أن الالتزام بأخلاق العمل يحقق الرضا والاستقرار الاجتماعيين بين غالبية الناس، خاصة الأسوياء منهم؛ حيث يذهب الحق إلى أصحابه، والعدل يسود في كافة المعاملات خاصة التي تتعلق بحقوق الناس.

كما سبق وغيره الكثير، يتأكد لنا أن دور المدرسة يتخطى الجانب التعليمي، ويمتد إلى صناعة مجتمع وتحديد معالم مستقبله؛ ومن ثم بقائه أو انهياره تبعاً لدرجة التحكم في الفساد والانحلال الأخلاقي، وحسبنا دليل أن فوائد الالتزام الخلقي في حقيقتها مقومات المجتمعات الصالحة، والتي تضمن بصلاحتها بقائها على قيد الحياة قوية ومزدهرة ومتقدمة، تلك الفوائد التي يمكن أن نجملها في النقاط الآتية:

- الالتزام بأخلاقيات العمل يدعم البيئة المواتية لروح الفريق وزيادة الإنتاجية، وهو ما يعود بالفائدة على الجميع.
- أيضاً يدعم ثقة الفرد بنفسه وثقته بالمنظمة والمجتمع، ويقلل القلق والتوتر بين الأفراد.
- الالتزام الأخلاقي يقلل تعريض المؤسسات للخطر لأن المخالفات تقل، والجرائم تقل والمنازعات أيضاً؛ حيث التمسك بالقانون الذي هو أولاً وأخيراً قيمة أخلاقية.

- كما يشجع الالتزام بمواثيق أخلاقية صارمة، على اللجوء في التعامل إلى الجهات الملتزمة أخلاقياً؛ وبالتالي تنجح الممارسات الجيدة في طرد الممارسات السيئة.
- أن وجود مواثيق أخلاقية معلنة، توفر المرجع الذي يحتكم إليه الناس ليقرروا السلوك الواجب، أو ليحكموا على السلوك الذي وقع فعلاً.

إذن على المعلم أن يعي دوره كقدوة حسنة، وكمسئول عن النمو الأخلاقي للتلاميذ. وعلى اعتبار أن المدرسة في البيئة الثانية للطفل، وفيها يقضى جزءاً كبيراً من حياته يتلقى فيها صنوف التربية والعلم والمعرفة، فهي عامل جوهري في تكوين شخصية الفرد، وتقرير اتجاهاته وسلوكه، وعلاقته بالمجتمع الأكبر.

وقد لا يتوفر للطالب في بعض المدارس قسط من الحرية والشعور بالمسئولية، وقد لا يجد مكاناً ينمو فيه نمواً يتفق مع طبيعته وحاجاته، وفي مثل هذا المناخ قد يصاب التلميذ بالإخفاق والقلق، وقد تكون المدرسة حينئذ نقطة يتحول عندها الحدث الصغير إلى طريق الانحراف.

- هذا والحياة في المدرسة لها جوانب ثلاثة، قد تكون سبباً في انحراف الحدث؛ وهي:
- علاقة التلميذ بمعلمه.
 - وعلاقته بزملائه.
 - وعلاقته بمواد الدراسة وموضوعاتها.

فقد تسوء علاقة التلميذ بمعلمه لأسباب كثيرة، منها ما يتصل بالمعلم غير المؤهل، الذي لا يعرف شيئاً عن سيكولوجية التلاميذ، وخصائصهم الحسية والعقلية وسلوكهم الاجتماعي في أطوار نموهم.

وقد تكون علاقته بزملائه دافعاً للانحراف في مواضع كثيرة منها سخرية زملائه منه لفقره، أو لعب في خلقه أو تشويه وعجز في جسده، وهو أمر قد يثير الحقد والصراع في نفس الصغير، وقد يكون المخرج منه الانحراف بسلوك عدواني، أو تعويض غير سوى مبالغ فيه، أو في إقدامه على السرقة لمجاراة زملائه.

أما علاقة التلميذ بمواد دراسته، قد تكون أيضاً دافعاً للانحراف إذا استشعر الصغير بضعفه العقلي وعجزه عن مسايرة زملائه في الفهم والتحصيل، مما يشعره بالفشل والمرارة والإحباط، فضلاً عما يمكن أن يصيبه من عقاب وسخرية من معلميه أو زملائه أو تأنيب من والديه.

وكما أن الضعف العقلي قد يدفع إلى الانحراف، فإن الذكاء الخارق والقدرات العقلية المتفوقة للغاية، قد تكون في الأخرى سبباً من أسباب الانحراف، وذلك في ظل غياب الوازع الديني والأخلاقي، وقد يحدث ذلك نادراً وفي حالات لا يجد فيها الطالب متنفساً لقدراته الخارقة، وما يشبع رغباته. نضف إلى ذلك، السلبيات التي مازالت قائمة في بعض قطاعات واقعنا التعليمي العربي، ومنها:

1- فقدان التوازن بين تعليم الصغار وتعليم الكبار، فلا تزال الأولوية لتعليم الصغار على حساب تعليم الكبار، في الوقت الذي ينبغي أن يكون للكبير الحق في التعليم بنفس القوة والمقدار في تعليم الصغار؛ خاصة عندما يكون الكبير في مرحلة خطيرة من عمره كمرحلة المراهقة، أو مرحلة الشباب والتي تحتاج إلى اهتمام من الأسرة والمدرسة.

2- كما أن هناك فقدان في التوازن بين الكم والكيف، فلا يزال يغلب على واقعنا التعليمي سيطرة الكم على حساب الكيف، مما أدى إلى مضاعفة اختلال التوازن بين التعليم النظري والتعليم الفني، في الوقت الذي تحتاج فيه المجتمعات العربية إلى الفنيين المتخصصين، والعمال المهرة المدربين القادرين على استيعاب تكنولوجيا العصر ومتطلباتها؛ خاصة في ظل ما يمر به العالم أجمع والعالم العربي بصفة خاصة من متغيرات دولية متلاحقة خاصة في المجال الاقتصادي، وكافة المجالات تحت مظلة العولمة، والتي أضفت العالمية على كل نواحي الحياة.

تلك العولمة التي تولدت عنها شركات متعددة الجنسيات، وشركات عابرة يشكل إنتاجها مواصفات جودة عالمية. بالإضافة إلى أسواق عمل مفتوحة على مصراعها أمام العمالة الوافدة من كل أنحاء الأرض، مما يفرض شكلاً معيناً على

العمالة أهم ملامحه المهارة وإدراك كافة المتغيرات التي طرأت على الساحة الاقتصادية، وعلى سوق العمل. فمن سلبيات العولمة قلة الطلب على العمالة غير الماهرة، مما يزيد البطالة ثقلاً على ثقل.

3- فقدان التوازن بين الإصلاح الجزئي والإصلاح الشامل، إذ لا يزال يغلب على واقعنا التعليمي الاتجاه الجزئي في الإصلاح، والحرص على تعديل الأشكال دون حدود، وتغيير مضمونها بنظرة شمولية موسعة.

وعلى ضوء هذه السلبيات وغيرها، فإن التربية العربية مطالبة أكثر من أي وقت مضى بالأخذ بالنظرة الكلية إلى إصلاح التعليم، دون الوقوف عند حد الإصلاح الهامشي، وسبيل ذلك الاتفاق على رؤى تعليمية عصرية تكون على مستوى التحديات والتصدي للمعوقات، بالإضافة إلى ضرورة تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية، وذلك عن طريق:

- الإيمان بقيمة الفرد لذاته بحكم كونه إنساناً واعتباره غاية في ذاته، وليس وسيلة لغاية أخرى.
- الإيمان بالفروق الفردية بين الأفراد، وفي هذا فرصة لرقى المجتمع وتقدمه؛ حيث المنافسة الشريفة، والسعي الجاد لتنمية القدرات وتحسينها.
- الثقة في ذكاء الفرد، وأن لكل إنسان قدرات خاصة على التفكير والتمييز والتحليل.
- العمل على توفير مستقبل آمن للفرد بعد انتهائه من تعليمه وعدم تركه للظروف، مما يعطى الثقة للأجيال الجديدة في المستقبل المهني بالمجتمع؛ ومن ثم زيادة الارتباط بالتعليم والتمسك به، بدلاً من التسرب منه نتيجة عدم الثقة في جدوى التعليم، من الناحية العملية والمادية في ظل ظروف المجتمع الاقتصادية.
- العمل على رفع كفاية الأفراد الفنية، وتطوير أدائهم ليكونوا أكثر قدرة على الإنجاز المنتج النافع للمجتمع.

دور القيادة الإدارية الأخلاقي :

إن على الإدارة دوراً هاماً في نشر وترسيخ أخلاقيات العمل في نفوس العاملين، وذلك بخلق المناخ التنظيمي المشجع، ولا يمكن أن نغفل دور القيادة الديمقراطية، والتي تملك القدرة على تفجير طاقات العطاء للعاملين وتحترم مبادراتهم الفردية على اعتبار أنهم شركاء في المنظمة.

ورغم أن الأسلوب الديمقراطي يظهر سهلاً وجذاباً في البداية، إلا أن من الصعب تنفيذه لأنه يتطلب قادة يؤثرون الصالح العام على المصالح الشخصية، والذين يفكرون على المدى البعيد، بالإضافة إلى تميزهم بالجرأة في إحداث التغيير والدفاع عن قناعتهم بضرورة هذا التغيير، ولكن للأسف أغلب القادة يؤثرون السلامة بترك الأمور على ما هي عليه، حتى ولو كانت فاشلة خوفاً من العقاب، خاصة وأن نظام العاملين يسير في دائرة الأقدمية، ولا مكان للمبدعين أو الصف الثاني كما يدعون. فالمعايير واللوائح تقف حاجزاً أمام التطوير المنشود، فالإصلاح يدور في دائرة لا مخرج منها ولا سبيل، طالما أن الإدارة تسير بفكر القرن الماضي. والذي لا يتفق مع ثورة المعلومات والتكنولوجيا التي أرست قيم الابتكار والإبداع في ثقافة المؤسسات، كما ظهرت قيمة رأس المال الفكري فوق كل الموارد المسئولة عن الابتكار والإبداع، ولا يمكن تفعيله إلا من خلال تحرير طاقات الخلق والإبداع في إطار بيئة إدارية تتصف بالديمقراطية والولاء والانتماء والعدل والمساواة، ومن ثم توفير البيئة المناسبة لنمو الأخلاقيات المنشودة.

ويمكن أن نجمل دور القادة في الإجراءات الآتية:

- 1- يجب على المنظمة أن تختار أفراداً مبدعين ليشكلوا العناصر البشرية لتحقيق الأهداف.
- 2- قيام المنظمة بدور قيادي تجاه المجتمع من منطلق المسؤولية الاجتماعية وخلق كوادر مبدعة.

- 3- الأخذ بأسلوب التفويض والذي يعد مدخلاً من مداخل الإبداع.
 - 4- إتاحة الفرصة للتعبير عن الأفكار دون حجر، وتشجيع العاملين على المشاركة الفعالة في حل المشكلات.
 - 5- تخصيص نسبة من ميزانية المنظمة لتنفيذ التجارب المبتكرة.
 - 6- على المنظمة أن تربط أهدافها بأهداف العاملين فيها قدر الإمكان.
 - 7- الحد من كثرة المؤتمرات غير الفعالة، والتي لا تقدم آراء ومقترحات مفيدة، بل تكون توصياتها عادة جاهزة قبل المؤتمر!.
 - 8- يجب أن تعمل المنظمة على اكتشاف أصحاب المواهب من العاملين بها، وتدريبهم دون النظر إلى درجاتهم الوظيفية، والمعايير الهلامية التي تخاصم المنطق في كثير من الأحيان، واللوائح العتيقة المحبطة بهم.
 - 9- يجب أن تقتنع المنظمة ممثلة في قياداتها أن التطوير لا يشمل فقط المباني والمنشآت والمعدات والأجهزة فقط، بل يجب أن يشمل بل ويبدأ بالتنمية البشرية.
 - 10- إذكاء روح التنافس الشريف بين الأفراد من خلال المسابقات العلمية والبحثية وإقرار ما يعرف بلوحة الشرف للمتميزين من العاملين، مع جعل جائزة للموظف المثالي خلقاً وأداءً وتميزاً والتزاماً.
- (شتا 2004، عكاشة 1997، أسعد 1987، أحمد 1989: متعدد).

وعلى الدولة دورها أيضاً من خلال:

- توعية الأسر بطرق وأساليب التربية الصحيحة، وطرق الحفاظ على قوام الأسرة واستقرارها.
- ضرورة إعادة دور التربية للمدرسة ليكون من أهم أدوارها، إلى جانب دورها التعليمي.
- القضاء على سلبات التعليم القائمة، والسعي إلى إصلاحه بما يتناسب والمتغيرات الدولية المتلاحقة.

- توعية المعلم بدوره الأخلاقي في حياة التلاميذ، وأنه مسئول عن استقامة المجتمع أو انحرافه، وأنه ليس كغيره من العاملين لأن أثره يدوم إلى ما بعد مرحلة عمله.
- تطوير نظام التعليم فيما قبل المرحلة الجامعية بالشكل الذي يتيح الفرصة لميول الطلاب نحو فرع من فروع العلم، وفتح المجال أمام دراسة ما يجوبونه من علوم.
- توفير فرص العمل المرتبطة بمراحل التعليم المختلفة، بدءاً بمرحلة محو الأمية والتي تعد الأساس الأولى في عملية تنمية المجتمع فهو في صورته البسيطة أول وسيلة من وسائل إيصال رسالة المجتمع إلى الأفراد، مروراً بمراحل التعليم الأخرى، مع زيادة الاهتمام بالتعليم الفني.
- ضرورة أن تتفق قرارات وسياسات القادة مع الاتجاه العام للدولة، حتى يثق الموظف العام بمكان عمله بصفة خاصة، وبصدق سياسة دولته بصفة عامة.. فمثلاً حينما يكون اتجاه الدولة خلق صف ثان من العاملين تمهيداً لتحملهم المسؤولية فيما بعد، وتأتى قرارات القادة مغايرة لهذا الاتجاه بأن تنتهج معايير خاطئة تمنع المجتهد من العاملين من اكتساب المهارات الجديدة في العمل بحجة أن هذه (المعايير) لا تنطبق عليهم، مما يخلق حالة من الإحباط قد تؤدي إلى تحول المجتهد إلى مهمل، والحريص على أدوات عمله إلى مبدد لها، وبذلك نفقد جيلاً جديداً من العاملين الأكفاء.
- ضرورة اهتمام الدولة بمن أعطوا في سبيل بلدهم في كافة المجالات، بتوفير الرعاية لهم، والحديث عنهم في وسائل الإعلام المختلفة، حتى يكونوا القدوة للأطفال، فليس من المنطقي أو المفيد أن تهتم وسائل الإعلام بالحوادث والقتلة وتهمل من بذلوا كل غال ونفيس في سبيل بلدهم.
- الاهتمام بأصحاب المواهب والعمل على تنميتها وعرضها بالشكل اللائق.
- على المنظمات عمل جائزة الموظف المثالي لتشجيع الأفراد على تحرى الالتزام الخلقى والمهني، تعطى لكل متميز في إدارته على كافة المستويات.

- رصد جائزة للمتفوقين من أبناء العاملين في الشهادات العامة، مما يؤدي إلى تنمية اهتمام الطلبة بالتعليم، وإبراز قيمته ومدى اهتمام المجتمع به، وبالمتفوقين فيه.
- طرح مشاريع تطوير العمل على العاملين، وإتاحة الفرصة أمام من لديه مقترحات وأفكار لعرضها في صورة ورقة عمل، أو ما شابه ذلك. على (2011)

إن حقوق الإنسان النفسية؛ في حقوق معنوية، لم تأخذ الصفة الرسمية بعد، فهي حقوق للفرد على الفرد، قوامها السلوك الإنساني القويم، من أخلاقيات يجب أن يتحلى بها الإنسان بصفة عامة، ومعتنقي الديانات السماوية بصفة خاصة، تلك الديانات التي أمرت جميعها بالسلوك الحسن، والأخلاق الحميدة.

لذلك يمكن تعريفها بأنها: واجبات الفرد تجاه غيره من الناس، محورها مكارم

الأخلاق، والتي تنقسم إلى:

- 1- أخلاق الفرد تجاه نفسه.
- 2- أخلاق الفرد تجاه الأسرة.
- 3- أخلاق الفرد تجاه المجتمع.
- 4- أخلاق الفرد تجاه عالمه ككل.

ولكي يتحقق ذلك السلوك، يجب أولاً أن يؤدي الفرد واجباته تجاه خالقه، وذلك بالإيمان به، وبالיום الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبين، وبكل ما أمر به المولى عز وجل، فطاعة الله ورسوله في أولى الواجبات الملقاة على عاتقنا، وهي البوابة التي ستأخذنا إلى مكارم الأخلاق في الأسرة، والمجتمع، وفي العالم من حولنا، وبذلك نكون قد حافظنا على الحقوق النفسية للإنسان، والتي أكد عليها القرآن الكريم في العديد من الآيات، التي تعبر عن حقوق الإنسان النفسية وأنواعها، واعتنى بها النبي الكريم كما سنرى لاحقاً.

حقوق الإنسان النفسية في القرآن الكريم:

1- حقوق الإنسان النفسية تجاه نفسه:

إن حقوق الإنسان النفسية تبدأ من عنده وتنتهي إليه، في صورة عالم بأكمله يحرص على حقوق الإنسان النفسية، من أخلاق وقيم ومثل ينتفع بها الإنسان في النهاية، ولكي يتحقق ذلك لابد أن يحافظ الفرد على حقوقه تجاه نفسه، وأولها تتعلق بطاعته لله عز وجل، ورسوله الكريم ﷺ، تلك الطاعة النابعة من الإيمان الحقيقي المصدق بالعمل، وهي تعد من أولى الواجبات المنوط بنا أداءها، فهذه البداية تكون قد وضعنا أقدامنا على أول الطريق الصحيح تجاه المحافظة على حقوقنا النفسية. يقول تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّا كُنْنَا عَلَيْهِمْ أَن نَّقْتُلُوهُمْ أَوْ أَنْفُسُكُمْ أَوْ أَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ﴾ [النساء: 66]

وقال: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَأَيْتَحَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ
هُمُ الْمُنْتَقُونَ ﴾ [البقرة: 177]

كما أن من واجباتنا تجاه المولى عز وجل، تدبر كل ما حولنا من مخلوقات نصل من خلالها إلى آيات الله فيها؛ ومن ثم الاستفادة بها في رحلتنا الإيماني والدنيوية:

قال الله تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: 21]

كما أن على الفرد أن يؤمن بأن الله هو الرزاق، وهو المنعم عليه بكل ما ينعم به من خيرات، وإن وقر هذا الإيمان في القلب، فلن يكون فيه مكان للبغضاء، أو الحقد، أو الحسد. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَكُفُّكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ [النحل: 53]

ويرتبط بهذا الإيمان خلق التوكل على الله حق توكله، آخذين في سبيل ذلك
بالأسباب التي سخرها لنا المولى عز وجل؛ حتى نصل إلى ما قدره لنا من رزق،
ومن نعم، قال الله تعالى:

﴿ إِن يَصْرِكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُ لَكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١١٠) ﴿ [آل عمران: 160]

وعلى النقيض.. فما من ابتلاء إلا وله أجر عند المولى عز وجل، فهو الذي
يبتلينا ليختبر قدرتنا على الصبر، ويبشرنا بالرحمة، وبأننا من المهتدين، قال تعالى:
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرْمِثِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ
﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ (١٥٧) ﴿ [البقرة: 155-157]

وعلينا أن نعلم علم اليقين أن ما من شيء يمر بنا، أو نفعله إلا بمشيئة الله
وإذنه: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ (٢٣) ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَآذُكَر رَبَّكَ إِذَا
نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِّنْ هَٰذَا رَشْدًا ﴾ (٢٤) ﴿ [الكهف: 23-24]

كما يجب على الفرد أن يوفى بعهد الله حتى لا يعاقب بالنفاق طوال حياته،
وأن يحفظ اليمين إذا حلف، وأن يكون صادقاً في كل قول وفعل، قال تعالى:

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٧٥)
﴿ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٧٦) ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى
يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (٧٧) ﴿ [التوبة: 75-77].

وقال: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ
فَكَفَرْتُمْ؛ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِّنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٨٩) ﴿ [المائدة: 8]

بالإضافة إلى العبادات المفروضة كالصلاة والزكاة والصوم والحج، والنوافل

تقرباً إلى الله عز وجل من ذكر وتسييح وغير ذلك من الطاعات، وقد ذكر المولى عز وجل ذلك في آيات كثيرة، ومنها قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾
[الأحزاب: 41-42]

وقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: 96-97]

وكل هذا لن يتحقق إلا بحب الله عز وجل، والذي سيدفعنا إلى تنفيذ ما أمر به الله، والبعد عن كل ما نهى عنه من مجالسة الخائضين في آيات الله، ومجاراة المشركين، وأعداء الإسلام في هجومهم وتهكمهم، يقول المولى عز وجل:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ رَتْدٍ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: 54]

ويقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ءِ وَإِنَّمَا يُنْسِنُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: 68]

وغير ذلك من الأمور المنهي عنها، مثل الشرك وإتباع الهوى، والتقليد الأعمى، وشرب الخمر، والميسر، وخيانة المسئولية والنفاق، وقتل النفس التي حرمها الله إلا بالحق، والزنا، والفاحشة فعلاً وقولاً، والسعا في الأرض إفساداً، والسخرية من الناس، والكذب والذي ينفي عن الفرد صفة الإيمان، كما أبلغنا الرسول الكريم ﷺ

إن أداء تلك الواجبات بصدق ويقين؛ سوف ينقل الفرد إلى مرحلة أخرى، وهى: أخلاقيات الإنسان نفسه، وتعد في نفس الوقت حقوق نفسية للآخر، من الكلمة الطيبة، والتبسم في وجه الآخر، والاستقامة في السلوك، وطهارة النفس،

وحسن الاستماع، وإتباع الحسن من الحديث، ومعاونة الغير على البر، وفعل الخيرات، والتواضع، والإتحاد حول المبادئ السامية.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [فصلت: 6]

وقال: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: 7-10]

وقال: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أَزْوَاجٌ الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر: 18]

وقال: ﴿ يَتَّيَّبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْجُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرِ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدَىٰ وَلَا الْأَقْلَاطِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة: 2]

وقال: ﴿ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: 104]

وقال: ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِّن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَابِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان: 19]

كما تشمل حقوق الإنسان النفسية، الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتطبيق أوامر الله على النفس أولاً قبل الدعوة إليها، قال تعالى:

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: 44]

وقال: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة: 256]

كما أن على الإنسان التوسط في الملبس والمأكل والمشرب، وكل أوجه الإنفاق، ومن روعة هذا الأمر، أن فيه مراعاة لمشاعر من ابتلاهم الله بنقص في المال، وضيق في الإنفاق. قال تعالى:

﴿يَنْبَغِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: 31]

ولابد أن يتصف الإنسان بالصدق في القول، وأن تطابق أفعاله مع ما يقول ويأمر به، وعليه أن يعلم أنه قدوة لغيره من الناس، مهما قل شأنه، فهناك من يقلده ويتأسى به في كل أفعاله الحسن منها والقبیح. قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: 2-3]

كما يجب على الإنسان أن يتأسى بالرسول وطاعته في كل ما أمر به (حاتم، 1988: متعدد). قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: 80]

وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: 21]

وقد تعددت حقوق الإنسان النفسية في القرآن الكريم، وكلها تدور حول القيم الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها الإنسان، ففيها نعيم الآخر وسعادته، وفي نفس الوقت فيها راحته هو ونعيمه، فما يؤديه من واجبات أخلاقية تجاه الآخر، يفعلها الآخر تجاهه، وأيضاً يكون قدوة لغيره من الناس، مما يجعلهم يسعون إلى تقليده والتأسي به في أفعاله الحسنة.

ويعد الشعور بالمودة والأخوة الإنسانية من أهم أخلاقيات الفرد، وهي الأساس الذي يبنى عليه البناء الأعم الأشمل لحقوق الإنسان النفسية. يقول المولى عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: 13]

فالإنسان لا بد له وأن يتحلى بالأخلاق الحسنة، والسلوك القويم، وليس أدل على أهمية الأخلاق بالنسبة للفرد، سوى الآية الكريمة التي تؤكد أن الأخلاق في أساس الجزاء. يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النجم: 39-41]

2- حقوق الإنسان النفسية تجاه أسرته:

رأينا من الضروري عند بدء الحديث عن حقوق الإنسان النفسية تجاه أسرته وداخلها، أن نبدأ بالعلاقة بين الزوجين، انطلاقاً من أنهما أساس الأسرة ونواتها، وما من شك في أن المودة والألفة والرحمة بينهما، لها آثارها في تنشئة الأطفال تنشئة حسنة تجعلهم أسوياء فيما بعد، وقد تحدثنا سابقاً عن أهمية وخطورة مرحلة الطفولة في مسألة بناء الشخصية السوية.

لذلك وجهنا الدين الإسلامي إلى ضرورة الاختيار الدقيق عند الإقدام على الزواج، وأن يكون الاختيار على أساس الدين أولاً، وهذا الأساس المتين هو السبيل للمودة والرحمة بين الأزواج، وعدم الافتئات على حق من حقوق طرف من الطرفين: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: 21]

كما حث الإسلام على الإحسان للوالدين، وفي ذلك بالإضافة إلى قيمة بر الوالدين، قيمة أخرى تعبر عن الإيجاز البليغ في القرآن تتمثل في القدوة التي يتأسى بها الأبناء حينما يرون ذلك من آبائهم وأمهاتهم، ويذكرهم القرآن بأنهم صغار يحتاجون إلى التربية كما كان آبائهم وأمهاتهم في الماضي، وفي ذلك يقول المولى عز وجل:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٣ ﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا ٢٤ ﴾ [الإسراء: 23-24]

كما حث الإسلام الحنيف على حسن معاملة الزوجة، بأن وضع الآداب التي تحكم معايشة الزوجات، مما يفرض على الزوجات عند تحقق ذلك، حسن معاملة أزواجهن. يقول تعالى:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِءَاتِنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ١٩ ﴾ [النساء: 19]

ثم تنتقل بعد ذلك إلى مسئولية الأب عن أسرته. قال تعالى:

﴿ لِنُفِيقَ ذُوسَعَةٍ مِّن سَعِيَةٍ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ٧ ﴾ [الطلاق: 7]

وتأكيداً لذلك؛ فقد نهى القرآن الكريم عن البخل بصفة عامة، والبخل في نفقة الأسرة بصفة خاصة، وقد ذكر هذا النهي في العديد من الآيات الكريمة، ومنها قوله:

﴿ الَّذِينَ يَخْلُونِ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ٣٧ ﴾ [النساء: 37]

وقوله: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ سَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ ۗ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا نَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١٨٠ ﴾ [آل عمران: 180]

وقد فرض الإسلام خصوصية للأسرة، وحما أسرارها ونهى الأزواج عن الحديث عما يحدث بينهم من أمور، كما حما الإسلام الأسرة من الغرباء، بأن جعل للزيارة آداباً على الفرد أن يتبعها ويلتزم بها حاتم (1988): ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا

﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ [النور: الآيات 27-29]

ويتفق هذا المعنى مع ما جاء في القرآن الكريم من نهى عن رمى المحصنات وإتهامهن بالباطل، وذلك حماية للأعراض بالنهى عن الخوض فيها. يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسِنَّتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوقِفُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: الآيات 23-25]

3- حقوق الإنسان النفسية تجاه المجتمع:

إن حقوق الإنسان النفسية داخل أسرته، في الأساس لحقوقه تجاه مجتمعه، وداخله، فالأسرة في أساس بناء المجتمع، وكلما كان الأساس سليماً خالياً من العيوب، كلما كان المجتمع قوياً صالحاً، يتميز بالأخلاق، والقيم، والمثل العليا، متمسكاً بتعاليم الشريعة، منفذاً لأوامرها، بعيداً عن ما نهت عنه من سلوك سيء.

ولا يمكن أن يتحقق ذلك دون وجود تعاون حقيقي بين أفراد المجتمع تذوب فيه المصلحة الشخصية، وتبرز المصلحة العامة، كقيمة في نفوس أعضاء المجتمع، ويأتي التعاون على البر والتقوى على رأس قائمة أولويات التعاون بين الأفراد، فعلى كل فرد أن يذكر غيره ويبصره بطرق البر، وأن ينهيه عن كل إثم أو عدوان، ويجب على كل فرد أن لا يرفض نصيحة غيره من الناس تكبراً، أو غروراً بما هو عليه من إيمان، فقد يرى غيرك ما لا تراه أنت في نفسك.

لذا أمرنا المولى عز وجل بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، متخذاً في ذلك أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، واللين مع الآخر. قال تعالى:

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: 110]

وكل ذلك يصب في معنى تضامن المجتمع ووحدته، حتى تتحقق له الفاعلية، والتي من خلالها يستطيع أن يصلح أحواله، بالتكامل بين أعضائه وحماية الضعفاء منهم، وقد أكد القرآن الكريم في العديد من الآيات على كل هذه المعاني، ومنها قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ إِن مَكَّنَّهْم فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: 41]

وقال: ﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ ۗ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَّالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الرعد: 11]

وقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحجرات: 10]

وقال: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر: 1-3]

إن على أفراد المجتمع أن يعملوا على تحقيق سلامته، والحفاظ عليها، بتطبيق العدل، والقصاص من الظالم، وبالنظام والطاعة، والتثبت من الأخبار، حتى لا تنتشر الشائعات الكاذبة، والشورى، وروح السلام، والإنتاج، والقول الحسن، والإحسان، والتكافل وحسن السلوك، والإعراض عن اللغو، والعفو والغفران للمسيء، وإيفاء الكيل والميزان، والتطهر، والقول المعروف، والابتعاد عن كل ما يثير العداوة والبغضاء، والبعد عن شهادة الزور، وغير ذلك من الحقوق التي تكفل سعادة المجتمع ووحدته، وعلى رأسها البعد عن الاختلاف، والتفرق بين أعضاء المجتمع. حاتم (1988)

يقول المولى عز وجل: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٥ ﴾ [آل عمران: 105]

وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ١٥٩ ﴾ [الأنعام: 159]

حقوق الإنسان النفسية تجاه العالم:

إن على الإنسان حقوقاً لا بد أن يؤديها لغيره من الناس، وله مثل الذي عليه من حقوق، على الناس أن تؤديها إليه، ولأن الناس شركاء في الأرض، وفي ظل العلاقات الدولية المتاحة على أوسع نطاق، تأخذ هذه الحقوق صفة العالمية، فهي حقوق على الجميع.. للجميع، ومنها رد الظلم ونصرة الحق، هذا الخلق الضائع في وقتنا هذا، فالمبدأ السائد هو مبدأ القوة، دون النظر إلى ظلم تفسى، وإلى حقوق ضاعت، وإلى قيمة انهارت تحت وطأة الظلم، وهى قيمة الأخوة الإنسانية. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَاخْلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١١ ﴾ [النساء: 1]

حتى ما ابتدعه الدول القوية من معاهدات لم تحترمها، واستمرت في إهدارها لكل الأعراف، والقيم، والأخلاق، وأضاعت حقوق الإنسان المادية قبل النفسية، تلك المعاهدات التي أمر المولى عز وجل باحترامها، ونهى عن نقضها. يقول تعالى:

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ١١ ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ١٢ ﴾ [النحل: 91-92]

كما أمرنا المولى عز وجل بالاستجابة للسلام في قوله:

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١١) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ
يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِيكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ [الأنفال: 61-62]

ومن ذلك النهى عن التكبر والعلو في العلاقات الدولية، قال تعالى:

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْأَخْرَىٰ جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٨٣) [القصص: 83]

لقد أوجمل القرآن الكريم قضية حقوق الإنسان بشقيها المعنوي والمادي في كلمة واحدة ذكرت في سورة الإسراء. يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٧٠) [الإسراء: 70]

عناية السنة النبوية بحقوق الإنسان النفسية :

لابد وأن نكون قد اتفقنا على أن المحافظة على أخلاقيات التعامل؛ في سبيلنا للمحافظة على حقوق الإنسان النفسية، ولأن لنا في رسول الله أسوة حسنة، فعلياً أن نتعرف على بعض أخلاقيات الرسول الكريم ﷺ، في محاولة منا للتأسي به، وعلى الجانب الآخر نقدم صورة للغرب تعكس حقيقة هامة؛ وهي: أن من يتميز بهذه الأخلاقيات لا يمكن أبداً أن يكون كلامه من عند غير الله، وأن من يتميز بهذه الأخلاقيات، هو بحق القائد الذي ينبغي أن نسير تحت لواءه على اختلاف دياناتنا ومعتقداتنا، وأن من يتميز بهذه الأخلاقيات، هو بحق المنهل الذي نأخذ منه دساتيرنا الحياتية كمخلوقات تسعى أن تتصف بصفة... إنسان.

إننا نقصد بأخلاقيات الرسول ﷺ، تلك الأخلاقيات الفطرية التي أكرمها الله عز وجل بها كني مرسل يحمل رسالة ربه إلى العالمين، رسالة خاتمة لكل الرسالات، وجاء النبي ﷺ كخاتم الأنبياء والمرسلين، ليس بعد رسالته رسالة، ولا بعد نبوته نبوه.

هذه الأخلاقيات وأساسها القرآني كما سنتحدث فيما بعد، تأتي تدعيماً لما

جاء على لسان الرسول ﷺ فيما يتعلق بحقوق الإنسان رداً على المتشككين من أعداء الإسلام.

فالقرآن هو دستور الإسلام ومنهجه، وما جاء فيه من أوامر ونواهي على لسان الرسول ﷺ كانت لراحة الإنسان والوصول به إلى السعادة المرجوة، وكم من قضية طرحتها آيات القرآن الكريم والتي نزلت على قلب ولسان الرسول الكريم ﷺ ولم تكن معروفة في وقتها، وأثبتتها الأيام وأكدت الاكتشافات العلمية صحتها.

وإن كنا لا نحتاج إلى تأكيد ما جاء به القرآن الكريم وأنه من عند الله سبحانه وتعالى، وما أخذ عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير كسنة مؤكدة، إلا أن شأن المؤمن شأن العالم الواثق الذي لا يهاب الجهل والحقد الكافر، فما لدينا من عقيدة يكفى ويزيد.

فالتركيز على أخلاقيات الرسول ﷺ، ما هو إلا نقطة في بحر من الأدلة الكونية على أن وجود الله (عز وجل) حق، وأن الإسلام حق، وما جاء به من أمور ومنافع إنسانية جليلة حق، وأن ما ورد عن الرسول الكريم ﷺ من أحاديث ومواقف حق:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَاصِلَ صَاحِبِكُمْ وَمَا عَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: 1-4]

فالنبي الكريم ﷺ كان خلقه القرآن، فما من أمر ورد في القرآن إلا امتثل له ونفذه، وما من نهى إلا وانتهى عنه، ومن أخلاقياته الكريمة على سبيل المثال لا الحصر، أنه ﷺ كان في الحياء أشد حياءً من العذراء في خدرها، وفي ذلك يقول أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه». - رواه الإمام أحمد في مسنده، وابن ماجه في سننه -

وكان مثالاً للجود والكرم والشجاعة والحلم والصبر والصفح والعفو عن من ظلمه، والرحمة بمخلوقات الله، ولم يكن ﷺ يخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم

يكن في ذلك إثم، فهو البعيد عن كل إثم، بل بعيد عن كل خطأ صغيراً كان أم كبيراً، ولم يكن ليغضب إلا في الله، فهو لم ينتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة للمولى عز وجل.

ولم يحدث أن ضرب رسول الله امرأة أو خادماً، فلم يكن النبي الكريم سبباً ولا لعاناً ولا فاحشاً، ففي صحيح مسلم عن عبد العزيز عن أنس قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أنساً غلام كَيْس فليخدمك قال: فخدمته في السفر والحضر، والله ما قال لي لشيء صنعت: لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه: لِمَ لم تصنع هذا هكذا؟. - رواه البخاري ومسلم وأبو داود والمام أحمد في مسنده -

وكان النبي أبعد ما يكون عن الغيبة والنميمة، وذكر الناس بما يكرهون من كلمات اعتدنا عليها في وقتنا الحاضر، بل أمر الرسول أصحابه بأن لا يبلغه أحد عن أحد شيئاً: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً. فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر». - رواه الإمام أحمد -

وكان ﷺ حينما يصافح أحد، لم يكن لينزع يده حتى ينزع الآخر يده من يد النبي، بل من شدة أخلاقه، أنه لم يكن يصرف وجهه الذي استقبل به الرجل حتى ينصرف عنه، وقد كان النبي أكثر الناس تبسماً، فلم يكن ﷺ متجهماً رغم جديته وجدية الرسالة التي بعث بها، ورغم أخلاقياته الراقية، ليضرب المثل لنا في حسن الخلق، بعيداً عن تنطع مدعى التدين الذين يربطون بين التدين، وبين التجهم، وكان التدين معركة حربية!.

وقد كان الرسول فطناً يحمل من الثقافة الفطرية، "ما يجعله عالماً في إدارة الحوار وجذب مستمعيه؛ ومن ثم التأثير في نفوسهم، بما يملكه من علم ديني، بل وعلم دنيوي أيضاً، فقد كان يذكر الآخرة مع من يذكروها حين ينزل الوحي، وكان

يذكر أمور الدنيا كالطعام مثلاً إذا ذكر، فلم ينفصل النبي الكريم بصفته كني ورسول عن أمور الدنيا، لتتعلم من ذلك أن الإسلام دين ودنيا، وليس كما يفهم البعض بأن الإسلام يجب فصله عن السياسة، والاقتصاد، وغير ذلك من العلوم الدنيوية، فلم يأتي القرآن دستور الإسلام، إلا بكل ما فيه سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

وعلى المستوى السياسي ونظام الحكم، لم يكن رسول الله ﷺ حاكماً ديكتاتوراً لا يقبل التدخل من أحد، فرغم أنه لا ينطق عن الهوى، إلا أن الأمر كان شورى بين رسول الله ﷺ، وبين أصحابه.

تلك كانت بعضاً من أخلاقيات الرسول ﷺ، وأفعاله كلها رحمه بالإنسان، كما أكدت الأحاديث النبوية فيما يتعلق بحقوق الإنسان في الإسلام، المادية منها، والنفسية.

ولو أضفنا إلى ذلك عالمية الإسلام كدين خاتم لكل الأديان، و أيضاً لعظم حجم العالم الإسلامي المبني على نواة فكرية في الإسلام، فهو لا يعنى فقط عالم الدول الإسلامية (التي أعلنت الإسلام ديناً رسمياً لها)؛ وإنما يعنى حسب نطاقه الجغرافي: كل بقعة على ظهر الأرض يقطنها مسلمون، بصرف النظر عن أي معيار آخر، فهو يمتد ليشمل العالم كله، وإن كان بدرجات متفاوتة؛ حيث لا توجد دولة في العالم لا يمثل فيها الإسلام ولو بوجود رمزي كدين عالمي، مما يفرض ضرورة الأخذ بما جاء به الإسلام من حقوق للإنسان، وهذه الضرورة التي نسعى إلى تحقيقها بالإقناع بما نملكه من حجج علمية تدحض افتراءات أعداء الإسلام، الذين اتخذوا من الزيف وقلب الحقائق منهجاً وأسلوباً في هجومهم على الإسلام.

لذا قصدنا في هذا الكتاب التطرق إلى موضوع لم ينل حقه من البحث والتقديم رغم أهميته العظيمة، وهو البعد النفسي لحقوق الإنسان في الإسلام، فالحقوق النفسية للإنسان لم يلتفت لها أحد، رغم أهميتها في توازن الإنسان النفسي؛ ومن ثم

قدرته على التمتع بحقوقه المادية في الحياة، وعلى الجانب الآخر القيام بما عليه من واجبات؛ في صورتها الحقيقية حقوق لغيره من الناس.

فما جاء به الدين من أوامر ونواهٍ وتوجيهات تتضمن التزامات أو واجبات على طرف، في وجهها الآخر مصالح وحقوق الطرف الآخر، مثل النهي عن قتل النفس بغير نفس، أو فساد في الأرض، والأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، والنهي عن بحس الناس أشياءهم، والنهي عن دخول بيوت الآخرين حتى يستأذن الداخل ويسلم على أهلها، والأمر بالإحسان للوالدين، وبذي القربى واليتامى والمساكين، والجار ذي القربى، والصاحب بالجنب، وابن السبيل، والتوجيه إلى أن الدين النصيحة، توجيهه إلى حقوق الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، وتوجيهات الإسلام في العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

فالإنسان أياً كان وضعه في المجتمع الإسلامي، مطالب بأن يعيش في أكثر من وجود، وأن يحيا في أكثر من حياة، فهو يتحرك داخل ذاته، وهناك مجال يتحرك فيه المسلم مع أسرته من زوج وولد، وهناك مجال يتحرك فيه المسلم مع أهله وعشيرته وذوى قرابته الأدين والأبعدين، وهناك أيضاً مجال يتحرك فيه المسلم مع المجتمع الذي يدين بدينه، ويعتقد بمعتقدده. فالمسلم مسئول في الأمة الإسلامية متى بلغ مبلغ الرشد (السيد، 1971). يقول الرسول الكريم ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" - فالعبد - زمن الرق - راع في مال سيده وهو مسئول عنه، والمرأة راعية في مجال زوجها والعكس، وهكذا الزوج، والابن، والحاكم.. فالكل مسئول ومسئول عنه) - رواه البخاري ومسلم وأبو داود -

ويتضح لنا أن الإسلام لم يجعل حقوق الإنسان حقوقاً إتكالية يمتلكها البعض ويتمتع بها، وتكون واجبة على البعض الآخر مع حرمانه منها، وانطلاقاً من أن فاقد الشيء لا يعطيه، جعل الإسلام حقوقاً للجميع، وعلى الجميع واجبات، فمثلاً الحاكم والمحكوم لكل منهما حقوقاً ولكل منهما واجبات، وقد نادى الإسلام بكرامة بنى آدم عموماً بغض النظر عن الجنس أو اللون أو الدين:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [70]. [الإسراء: 70]

ومن مقتضيات هذه العلاقة: تبادل المصالح، وإطراء المنافع، وتقوية الصلات الإنسانية، وهذا المعنى لا يدخل في نطاق النهى عن موالة الكافرين، إذا أن النهى عن موالة الكافرين؛ يقصد به النهى عن مخالفتهم ومناصرتهم ضد المسلمين.

أما الموالة بمعنى المسالمة، والمعاشرة الجميلة، والمعاملة الحسنة، وتبادل المصالح، والتعاون على البر والتقوى، فهذا مما دعا إليه الإسلام، سابق (د.ت: ص 13) وليس كما اعتاد الغير في سلسلة هجماته على الإسلام، بأن يوجه الاتهامات الباطلة، وأن يخص غير المسلمين والمرأة بالذكر، والإسلام من تلك الاتهامات براء، فالإسلام أقر المساواة بين الذميين، والمسلمين، فلهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، وقد كفل لهم حريتهم الدينية، فقد حمى الإسلام كرامتهم، وصان حقوقهم، وجعل لهم الحرية في الجدل والمناقشة في حدود العقل والمنطق، مع التزام الأدب والبعد عن الخشونة.

إن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، وجعله سيداً على هذا الكوكب الأرضي، واستخلفه فيه ليقوم بعمارته وإصلاحه، ومن أجل أن يكون هذا التكريم حقيقة واقعة، كفل الإسلام جميع حقوق الإنسان، وأوجب حمايتها وصيانتها، سواء أكانت حقوقاً دينية، أو مدنية أو سياسية. سابق (د.ت)

وجدير بالذكر أنه على الرغم من الاختلافات بين الأديان في بعض الأمور العقائدية، لم يتدخل الإسلام في عقائد الغير مصداقاً لقوله تعالى:

﴿قُلْ يَتَّابِعُونَ الْكُفْرُونَ﴾ ① لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ④ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ⑥ ﴿

[سورة الكافرون].

وقد أقرت هذه السورة مبدأ هاماً في تعامل المسلمين مع غيرهم، وهو أن لكل إنسان دينه حتى، ولو كانوا قد كفروا بكل الأديان أو بعضها.

ويرى البعض أن جهل البعض - سواء أكان متعمداً أو غير متعمد - بحقيقة الإسلام، وبسيرة النبي ﷺ، في مقدمة ما يدعوا إلى خصومة أعداء الإسلام، والجهل ولا ريب من أعقد أسباب الجمود، والتعصب، وأشدّها استعصاء.

ولقد تراكم هذا الجهل على مر القرون، وقامت له في نفوس الأجيال تماثيل وأوثان يحتاج تحطيمها إلى قوة روحية كبرى كقوة الإسلام. على أننا نحسب ثمة سبباً غير الجهل هو الذي دفعهم إلى هذا التعصب، وإثارة الحرب الضروس الشعواء التي أثاروها ويثيرونها على الإسلام وعلى المسلمين آنأ بعد آن، ولا يدور ذهننا إلى ما قد يدور بالخاطر من صروف السياسة، وحب الظفر بالشعوب لاستغلالها، فتلك في اعتقادنا نتيجة لا سبب لهذا التعصب المستعصي حتى على العلم وعلى بحوثه. (هيكل، 1997)

ونرى أن الرغبة الدفينة في استغلال الشعوب الضعيفة، والمالكة للثروات، سبباً في الهجوم على الإسلام، فالأمر لا يرجع إلى اختلافات دينية بين الإسلام، وبين المسيحية، أو بينه، وبين اليهودية، وذلك لأن الأمر يشبه إلى حد كبير ما حدث في الحروب الصليبية، فالظاهر منها أنها حروب لحماية الصليب، لكن الباطن يحوى أطماع في ما يملكه الشرق من ثروات.

نصف إلى ذلك أن الغير قد درس تاريخ الدولة الإسلامية جيداً خاصة في أوج قوتها وازدهارها في عصر صدر الإسلام، وعرف كيف وصلت إلى ما وصلت إليه من اتساع يدل على القوة والازدهار الحضاري، وعرف أن السر يكمن في الوحدة والتي أساسها الإيمان القوى، ولهذا عملوا على محاربة الوحدة بين المسلمين، والحقيقة المرة تقول أنهم إلى الآن قد نجحوا في تحقيق ما يريدونه، وما يحدث من انقسامات بين الدول العربية والإسلامية، وتبادل الاتهامات هو خير دليل على هذا النجاح، والآن لم يبقى سوى الإسلام كي يهاجمونه عن طريق التشويه وادعاء

الأكاذيب من امتلاك أسلحة دمار شامل، إلى اضطهاد الأقليات الذين ينعمون بحياة أفضل وأرقى حضارياً من الأقليات المسلمة في بلادهم، كل هذه القضايا الكاذبة مجرد ذرائع بعيدة عن الدين تماماً، لتفتيت وتفكيك الدول، والكيانات الإسلامية حتى يزول الخطر من وجهة نظرهم.

وحسبنا دليلاً على ذلك الرأي القائل "بأن المسيحية مثلاً لا تلائم طبيعة الغرب، وذلك لأن المسيحية، وما تدعوا إليه من زهد في الحياة، واعتزال العالم، ومن العفو والمغفرة، ومن المعاني النفسانية السامية، ليست ما يلائم طبيعة الغرب الذي عاش ألوف السنين على دين تعدد الآلهة، والذي يدعوه مركزه الجغرافي إلى حياة الكفاح لمغالبة الزمهرير الضنك وسوء الحال، فإذا قضت الظروف التاريخية عليه بأن يدين بالمسيحية، فلا مفر له من أن يسبغ عليها ثوب الكفاح، وأن يخرجها بذلك عن طبيعتها السمحة الجميلة، وأن يفسد فيها هذا التناسق الروحي الذي يجعل منها حلقة في سلسلة الوحدة التي أتمها الإسلام، والتي توأخي بين الروح والجسد، وتزواج بين العاطفة والعقل، وإلى ما سبق يرجع إغراق الغربيين في غلوهم، وقد عرف التاريخ أن حياة أمم الغرب كانت دائماً حياة نضال وحروب دامية بإسم السياسة، أو بإسم الدين، وعرف أن أرباب السلطة الزمنية حاولوا القضاء على الحياة الروحية بإسم العلم، وقد زعموا بأن العلم سيحل من الحياة الإنسانية محل الإيمان من الحياة الروحية، وها في ذي عرفنا اليوم بعد جهاد طويل، سوء رأيها، وأن ما قصدت إليه مستحيل تحقيقه. والصيحة تعلق اليوم من جوانب الغرب المختلفة يريد أهله حياة روحية أضاعوها، فظهرت العديد من التيارات العقائدية التي تتطلع إلى تلك الحياة، وحاولوا أن يصبغوها بصبغة الدين، ومنها "الثيوزوفية"^(*)، ولو أن المسيحية كانت تلائم غرائز الكفاح التي تنشأ بحكم الطبيعة

(*) الثيوزوفية: مذهب استنبطته مدام "بلافاتسكى" الأمريكية من أديان الهند، ومن البوذية، والبرهمنية منها بنوع خاص، ودعته "دين الحكمة"، وقد تأسست لهذا المذهب جمعية في أمريكا وفروع لها في

كجزء من حياة أهل الغرب، لرأيهم، وقد شعروا بعجز الفكرة المادية عن أن تلهمهم المدد الروحي، يعودون إلى المسيحية - دين عيسى بن مريم -، إن لم يهدهم الله إلى الإسلام. هيكمل (1997: ص 28)

أما فيما يتعلق بالهجوم على الإسلام من خلال اتخاذ حقوق المرأة ذريعة لذلك، فإنه لا يرجع إلى حق يريدون تقريره، أو باطل يريدون تصحيحه؛ وإنما في العصبية الدينية، أو الفتنة بالتقليد عن طريق استحسان ما يستحسنه القوى ولو كان قبيحاً منكرًا، واستقباح ما يستحسنه الضعيف ولو كان حسناً معروفًا.

والحقيقة أن أول ما يطالعا في قضية حقوق المرأة في الإسلام، أن القرآن حينما تحدث عن الأصل الذي تفرع منه الإنسان، جعل المرأة شريكة فيه للرجل، فكان الرجل أباً، والمرأة أمًا، واعتبر القرآن الكريم ذلك يوجب على الإنسان النظرة المستقيمة إلى أخيه الإنسان الذي يشاركه في معنى الإنسانية، وفي نسبه إلى أصله الذي تكونا منه، ومعنى هذا أنه لا تفاضل بينهما، إلا بما يكتسبه الإنسان من خلال ترقى الإنسانية إلى المستوى الفاضل. (شلتوت، 1983: ص 220).

فقد جاءت التعاليم القرآنية بوضع الوالدين معاً موضع التكريم والإجلال ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: آية 36].

==

بلاد أوروبا المختلفة، ثم انقسمت بعد موت "بلافانسكى" إلى ثلاث شعب ومذهب الجمعية يقوم على وحدة الحياة، ويدعوا إلى نوع من الرياضة الصوفية لبلوغ مرتبة (الزفانا) البوذية وهذه المرتبة يبلغها صاحبها حين يصل من - رياضته إلى الفصل التام بين الروح والتأثر بماديات الحياة وحين تسموا الروح بذلك إلى مكان من القدسية والطهر تتصل فيه الأرواح العليا، كما يدعو المذهب إلى إخاء الإنسانية إزاء عام تزول معه فوارق الجنس واللغة وكل ما هو عائق أمام ذلك!.

كما أرشد القرآن إلى ما للوالدة من جهود مضية في تربية الأبناء، ليس شيئاً منها للوالد سوى الرعاية والإرشاد: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَيَّ وَهْنٍ وَفَصَّطِلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ [لقمان: آية 14].

فإذا ما تتبعنا ما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وجدنا تقرير القرآن للمساواة بين الرجل والمرأة في الطبيعة الإنسانية، وقد أعلمنا القرآن الكريم أن الإنسان - رجلاً أو امرأة - خلق من علق، وإذا كان الدين قد سوى في أصل الخلقة، فقد سوى كذلك في المسؤولية؛ حيث كان التكليف بالأحكام الشرعية لكل منهما، وليس هناك من استثناء بفروق إلا في أمور بسيطة من أجل الموازنة بين الواجبات والقدرات والإمكانات، سيراً على منهج لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، نجد القرآن الكريم وهو يتحدث عن الإيمان والفكر والتعقل والمصارعة إلى أعمال البر والإيمان بيوم الجزاء، يقرر المساواة في الجزاء كما ساوى في العمل.

والمرأة ذات مسؤولية مستقلة عن مسؤولية الرجل، مسئولة عن نفسها، وعن عبادتها، وعن بيتها، وعن جماعتها، وهي لا تقل في مطلق المسؤولية عن مسؤولية أخيها الرجل، إضافة إلى المسؤولية العامة فيما يختص بالدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والإرشاد إلى الفضائل، أو الانحراف عن واجب الإيمان والإخلاص لله وللمسلمين، وليس من شك أن تحميل المرأة بالمسؤوليات، يجعل لها أو عليها الحق في أن تتعلم كل ما يمكنها من القيام بهذه المسؤولية على الوجه الذي حددت به، وطلبت منها عليه. فمن حقها التعلم حتى تكون قادرة على تحرى الخير والإصلاح، والبعد عن الشر والفساد. شلتوت (1983)

أما الدور الأكبر فهو تحقيق مبدأ حقوق الإنسان، والذي يحتاج إلى مجتمع قوى متماسك قائم على أسس دينية ونفسية سليمة، بداية من تكوينه الإنساني - كفرد - ونهاية بالأمة ككل، والتي تتكون من لبنات (مجموعة أسر)، يرتبط بعضها ببعض تأخذ من قوة هذا الترابط، أو من ضعفه مكوناتها، والمرأة جزء لا يتجزأ من الأسرة وتكوينها، ومن هنا يتضح لنا أهمية دورها، وخطورتها في الإسلام.

ولهذا فقد أوصى الإسلام الحنيف الزوج بعدة وصايا، تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك قيمة المرأة في الإسلام كزوجة، وأم، وشريك أساسي في بناء المجتمع، وعلى الجانب الآخر تؤكد ما ذهبنا إليه من أهمية المحافظة على حقوق الإنسان النفسية، وكون المرأة إنساناً، فقد عنى الإسلام إلى جانب حقوق المرأة المادية كالإنفاق، والصداق، وغير ذلك من متطلبات الحياة، بحقوقها المعنوية - النفسية - ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- 1- أمر الإسلام الزوج بالتزین لزوجته، وأن لا ترى منه إلا كل جميل، وقد قال بن عباس رضي الله عنهما: (أحب أن أتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين لي).
- 2- اختيار الكلمة الحسنة والطيبة، فإذا كان الإنسان مأموراً دينياً بالكلمة الطيبة لغيره من الناس، وجعل الله له ثواباً عليها، فمن باب أولى أن تكون بداية وجهة هذه الكلمة للزوجة شريكته في الحياة مجلوها ومرها، حتى ولو كانت كذباً بأن يصف الزوجة بصفة جميلة لا تتحلى بها، لما في ذلك من حسن عشرة وإصلاح.
- 3- طلاقة الوجه وبشاشته، وأن يكون الزوج متبسماً في وجه زوجته.
- 4- التسرية عنها في غضبها، ومن المعروف علمياً أن هناك فترات تمر على المرأة، تسوء فيها حالتها النفسية، كفترة الحيض، أو الأمراض التي تتبعها آلام مبرحة، فعلى الزوج أن يتحمل ذلك الغضب، وأن يقدر طبيعة المرحلة وتأثيراتها، كما تتحمله زوجته في غضبه نتيجة الضغوط الحياتية المعتادة.
- 5- شكر الزوجة على ما تؤديه من خدمة داخل البيت، وإظهار الامتنان بمجهودها ولو بكلمات بسيطة تسعدها، وتجعلها في نشاط دائم طالما أن مجهودها يلقى التقدير والإعجاب، بل إن على الزوج في حالة قدرته المادية، أن يأتي لزوجته بخادمة تعينها على أمور المنزل.
- 6- مساعدة الزوجة في أداء متطلبات البيت، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في خدمة أهله، فإذا

قطع ثوبه مثلاً كان يقوم بجياكته، وهكذا، وهو من هو؟، هو من الناحية المادية يعد ملكاً أو رئيس دولة بمسمياتنا الحالية، ومن الناحية الدينية فهو خير رسل الله وأنبيائه (صلى الله وسلم عليهم أجمعين)، فلا مكان هنا للتكبر، والأولى بنا أن نقتدي برسول الله.

7- إشراك الزوجة في الأمور الحياتية بأخذ رأيها ومشورتها، والأخذ بها عند صحتها دون تكبر، فليس في ذلك أي تقليل من شأن الرجل، بل على العكس قد ترى الزوجة كونها امرأة الأمر بشكل أفضل في بعض الأمور الحياتية المتعددة والمختلفة.

وما سبق وغيره الكثير؛ يؤكد فهم الإسلام لطبيعة المرأة، فقد تتحمل سوء الأحوال المادية وتقف مع زوجها، وقد تنزل إلى العمل لمساعدته، إلا أنها لا تتحمل سوء المعاشرة، أو أي إهدار لكرامتها وإنسانيتها.

يعد موضوع حقوق المرأة - رغم أنه موضوع كبير - موضوعاً فرعياً في مجال حقوق الإنسان؛ حيث تم بحث موضوع التمييز العنصري في لجنة الأمم الخاصة بحقوق الإنسان، وفي نظام الأمم المتحدة تم عزل التمييز الجنسي في لجنة الأمم المتحدة حول وضع المرأة.

لقد لعبت لجنة وضع المرأة - وهي جهاز فرعى تابع للمجلس الاقتصادي والاجتماعي، أنشئت في 1947م - دوراً في خلق المعايير للدور الذي لعبته لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، في تقديم عدد من الاتفاقيات المتخصصة، مثل اتفاقية عام 1952م بشأن الحقوق السياسية للمرأة، واتفاقية عام 1979م للقضاء على التمييز ضد المرأة، وفي عام 1984م بدأت اللجنة في دراسة الشكاوى الفردية.

إن إجراء تقديم التقارير في ظل اتفاقية القضاء على التمييز ضد المرأة، والتي دخلت حيز التنفيذ في 1981/9/3م - وصادقت عليها أكثر من 90 دولة - تعد الإجراءات الأكثر وعداً.

ويبدو أن لجنة القضاء على التمييز ضد المرأة - التي ظلت تنعقد سنوياً منذ 1982م - ستعمل بشكل مماثل للجنة حقوق الإنسان (لجنة الخبراء)، ويمكن للجنة فقط دراسة الأحوال في تلك الأقطار الأطراف في الاتفاقية، كحال أغلب أجهزة التعزيز والرقابة المنشأة بموجب الاتفاقية.

كما أن السلطات الأضعف للجنة، ستظل مثار أهمية مستمرة، وكما في النظم العالمية، فإن هناك تضحية سياسية بين قوة مجموعة من الإجراءات وبين متابعتها.

ويمكن إرجاع التقوية الراهنة لنظام حقوق المرأة، إلى الوعي المتغير بموضوعات المرأة في السبعينات، وهي عملية تغير في الإدراك الحسي، تركزت على المستوى الدولي حول اختيار عام 1975م كعام دولي للمرأة، وعقد المؤتمر العالمي المرتبط بها في مدينة المكسيك، وقد تكونَ جمهور دولي من أنصار حقوق المرأة، يرتبط بالأنشطة السياسية، وأنشطة رفع مستوى الوعي التي قامت بها الحركات النسائية الوطنية؛ فقد انبثقت مجموعة متنامية من صناعات النظم وأخذيها، وقد تم ردع المخربين المحتملين من محاولة القيام بمعارضة نشطة، إما من خلال المواقف الإيديولوجية المحلية، أو بواسطة انبثاق إجماع معياري دولي، ويبدو أيضاً أن مؤتمر المتابعة الذي عقد في نيروبي في عام 1985م، قد لعب دوراً مهماً في ترسيخ وتعميق هذا الإجماع الدولي. دونللي (1998: ص ص 262، 263)

وتجدر الإشارة قبل الحديث عن عناية السُّنة النبوية بالحقوق النفسية للإنسان، إلى الحقوق الطبيعية في الإسلام، وبداية.. فالحق في القانون يعرف بأنه السلطة أو القدرة الإدارية المخولة للشخص، كي يتمكن من القيام بأعمال معينه تحقيقاً لمصلحة له يعترف بها القانون ويقرها، وتنقسم الحقوق إلى قسمين أساسيين؛ وهما:

1- الحقوق السياسية: وتعرف بأنها السلطات التي تمنحها الدولة لبعض الأشخاص، لتمكينهم من القيام بأعمال معينه يشتركون بها في إدارة وتنظيم الشؤون السياسية لمجتمعهم، مثل حق الانتخاب (البيعة).

2- الحقوق غير السياسية (المدنية) وتنقسم إلى:

أ - الحقوق الخاصة: ويقصد بها الحقوق الشخصية المتعلقة بنظام الأسرة، أو حقوق مالية تسمح لأصحابها القيام بأعمال يمكن تقويمها بالمال، مثل الدين والملكية والوصية... الخ.

ب- الحقوق العامة: ويقصد بها تلك الحقوق الممنوحة لجميع الأفراد داخل المجتمع سواءً بسواء، والتي تجعلهم قادرين على تبوء مركز ممتاز، مثل الحق في الحياة، والتنقل، وحرية الرأي، والفكر، والعقيدة، والاجتماع، والعلاج، والصحة.. الخ.

وتتصف الحقوق الطبيعية بصفتين أساسيتين هما كونها نسبية، وغير قاصرة،، ويقصد بالنسبة أن كل حق ممنوح لشخص يقابله حقاً، أو حقوق أخرى ممنوحة لبقية الأشخاص في نفس المجتمع، فحق البيع يقابله حق الشراء، وحق الملكية يقابله حق عدم ملكية بقية الأشخاص في هذا المجتمع لنفس الشيء المملوك. أما كون الحقوق الطبيعية غير قاصرة؛ فيعنى أن هذه الحقوق ليست قابلة للعزل عن المجتمع وقصرها على فرد مطلق ليس عضواً في جماعه معينة، بل في حقوق لجميع الأفراد باعتبارهم أعضاء في المجتمع.

ومن سمات الحقوق الطبيعية في الإسلام:

1- أن الإسلام أقر هذه الحقوق بالنص الصريح في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾ [الإسراء: 70] ، وجعل الإنسان خليفة الله في الأرض.

2- أن الحق الطبيعي الفردي في الإسلام يعتبر حقاً اجتماعياً، وذلك لأن المصلحة العامة ليست في الواقع إلا مصلحة لكل فرد من الأفراد المكونين للمجتمع الإسلامي، وذلك طالما اتفقنا على أن الصالح العام هو حق الأفراد بمجموعهم، وليس بأشخاصهم.

- 3- أن تنظيم الحقوق الفردية الطبيعية، وأسلوب الانتفاع بها يتم في المجتمع الإسلامي عن طريق إلزام الأفراد دستورياً.
- 4- أن الحقوق في الإسلام جاءت عامة وشاملة (سياسية، اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، صحية... الخ)، مما يجعل نظام الحقوق الإنسانية في الإسلام نظاماً متكاملًا شاملاً.

السنة النبوية وحقوق الإنسان النفسية :

إن السنة النبوية لم تعنى فقط بالحقوق الإنسانية الملموسة، بل تخطت ذلك إلى الحقوق الإنسانية النفسية، والتي لا تقل أهمية عن الحقوق المادية، لما في ذلك من تحقيق توازن نفسي، وخلق نفس سوية قادرة على القيام بواجباتها، والتي في نفس الوقت حقوق إنسانية للغير، وبذلك تكون السنة النبوية كجزء من الشريعة الإسلامية، قد سبقت العلم في إبراز أهمية الجوانب النفسية.

حقيقة.. يختار المرء في اختيار البداية ونقطة الانطلاق، فكل ما جاءت به السنة النبوية، أو جاء في القرآن الكريم، حقوق لها من الأهمية ما يصعب معها ترتيب تلك الحقوق.

وقبل أن نتحدث عن حقوق الإنسان النفسية في سنة الرسول الكريم ﷺ، يجب علينا أولاً أن نعيد التأكيد على أنه لا تعارض بين الإسلام و علم النفس، فالإسلام يحث على العلم، لقوة الإسلام من جهة، فهو لا يخشى الاكتشافات العلمية لأنه دين الحق، ومن جهة أخرى، تأتي اكتشافات العلم كأدلة تضاف إلى الكثير والكثير من الأدلة والبراهين التي تؤكد أن الدين الإسلامي هو دين من عند الله، وإن ما جاء به رسول الله ﷺ حق، وحسبنا في ذلك ما أثبتته علم النفس والاجتماع من أن النفس السوية في نفس قادرة على الحياة، يتسع وعيها بالقدر الذي يسمح بالتفرقة بين القبح والجمال، نفس قادرة على إعطاء حقوق الإنسان للإنسان، وأيضاً الحصول على حقوقها.

ولأن الرسول الكريم ﷺ لا ينطق عن الهوى، فقد جاءت سنته - من قول أو فعل أو تقرير- سباقاً لما جاء به العلم الحديث، ولما لا.. فهو النبي مبعوث السماء، يحمل رسالته وهى من أعظم الرسالات، جاء بالإسلام الحق لنعيم الأمة. لذلك كان من الطبيعي والمنطقي، أن تعني السنة النبوية بالحقوق النفسية للإنسان أجل عناية، ويتضح ذلك في الآتي:

- 1- الوصاية بحسن الخلق وحب الخير للغير.
- 2- استحباب طيب الكلام.
- 3- فضل إفشاء السلام.
- 4- تحريم الغيبة.
- 5- النهى عن الشماتة.
- 6- تحريم احتقار المسلمين.
- 7- النهى عن تناجى اثنين دون ثالث.
- 8- كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة.
- 9- كراهة تفضيل الوالد بعض أولاده.
- 10- تحريم الخطبة على خطبة الغير.

وغير ذلك من الأمور النفسية التي تؤثر على حياة الإنسان، ومنها:

- (عن أنس رضي الله عنه قال: ما مسست ديباجاً، ولا حريراً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا؟). - متفق عليه -

ونخرج من هذا الحديث بحقيقتين في غاية الأهمية:

- الأولى: ضرورة حُسن المظهر، وما لذلك من أثر طيب في نفوس الغير.
- الثانية: أثر الكلمة الطيبة في النفس البشرية، خاصة لمن هم في مكانة أقل من مكانتنا الاجتماعية.

- (وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم). - رواه أبو داود والمام أحمد -
- (وعن أبي إمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه). والزعيم: الضامن، ورواه البيهقي في السنن الكبرى. - حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح -
- (وعن ابن مسعود س قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء). - رواه الترمذي، والحاكم في المستدرک، وابن حبان في صحيحه -
- (وعن أنس س قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كان الفحش في شيء إلا شأنه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه). - رواه الترمذي وقال حديث حسن، ورواه الإمام أحمد والشهاب في مسنده -

تلك الأحاديث التي تطالب وتؤكد على أهمية حسن الخلق في تعاملاتنا مع الغير، لما لهذه الأخلاق من آثار نفسية جيدة؛ تؤدي إلى الحب، والإخاء، والتعاون وتبادل المصالح؛ ومن ثم يمتد الأثر على الأمة الإنسانية كلها، بدوام النشاط والسعي الدائم إلى الابتكار وخدمة البشرية - كل في مجاله -.

- (فعن أنس س عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). - أخرجه البخاري، والترمذي، وابن ماجه -

وحب الخير للغير كما يحبه المرء لنفسه ينزع الضغينة، والبغضاء، والحسد من النفس، ويجعلها نفساً سوية قادرة على العطاء، والتنعم بحقوقها، بالإضافة إلى الهدف الأسمى للنفس السوية، وهو أنها قادرة على التقرب إلى الله بمعرفته حق المعرفة، والوصول إلى حكمة العقيدة الإسلامية، وما جاءت به من تعاليم لراحة البشرية في الدنيا والآخرة، فيكون التدين تديناً حقيقياً بعيداً عن مظاهر الغش والنفاق.

- (وعن أبي هريرة س أن النبي ﷺ قال: الكلمة الطيبة صدقة). - متفق عليه -
 - (وعن عدى بن حاتم س قال: قال رسول الله ﷺ: اتقوا النار ولو بشق تمره، فمن لم يجد فبكلمة طيبة). - متفق عليه -
 - (وعن أبي ذر الغفاري رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق). - متفق عليه -
 - (وعن جرير بن عبد الله س قال: قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع: استنصت الناس، ثم قال: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض). - متفق عليه -
- واستنصت الناس: أي أمرهم بالإنصات.

ونرى في الأحاديث السابقة صورة جليظة من صور اهتمام الإسلام بحقوق الإنسان النفسية، بأن جعل الكلمة الطيبة كجزء من الأخلاق الحميدة، وما لها من أثر جيد على النفس، صدقة يثاب عنها الإنسان، وفي ذلك تشجيع للمسلم المؤمن، وحثه على ذلك الفعل النبيل، وما يؤكد لنا أهمية هذا الأمر ما نشهده الآن من سلوك إنساني مليء بالفظاظة، وقسوة الحديث، والتهمك، والسخرية، والأذى بكافة أشكاله اللفظية، حتى وصل الأمر إلى التشاحن، بل والقتال أيضاً، كما توقع الرسول الكريم، فنهانا عن الرجوع إلى الكفر، يضرب بعضنا رقاب بعض، وهذا السلوك إنما يدل على ضعف إيمان بالله، وبالْحَسَاب، وبأن ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، سبحانه أمرنا بطيب الكلام، وأوصى النبي الكريم بذلك، وأرشده بأنه لو كان فظاً غليظ القلب لانفضوا من حوله، فمن الأساسيات التي قامت عليها دعوة النبي ﷺ، حُسن الخلق، المشهود له به، بالإضافة إلى السمات الإنسانية الأخرى كالأمانة في المعاملة، والصدق في الحديث. وما كان ذلك إلا ليعطى النبي الكريم المثل والقدوة للبشر، ويعلمهم أهمية حُسن الخلق وقيمتها، لعلم الله المسبق بما سنكون عليه في حياتنا الدنيا.

- (وعن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف). - متفق عليه -
- (وعن أبي عمارة البراء عازب رضي الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع: عيادة المريض، وإتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار القسم). - متفق عليه. هذا لفظ إحدى روايات البخاري -
- (وعن أبي هريرة س قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ! أفشوا السلام بينكم. - رواه مسلم والإمام أحمد وابن ماجه -
- وعن أبي يوسف عبد الله بن سلام - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يا أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام. - رواه الترمذي وقال حديث صحيح، ورواه الإمام أحمد -
- وعن الطفيل بن أبي بن كعب أنه كان يأتي عبد الله بن عمر فيعدوا معه إلى السوق، قال: فإذا غدونا إلى السوق لم يمر عبد الله على سقاط، ولا صاحب بيعة، ولا مسكين، ولا أحد إلا سلم عليه. قال الطفيل: فجئت عبد الله بن عمر يوماً فاستتبعتني إلى السوق فقلت له: ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف على البيع ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس السوق؟ وأقول: اجلس بنا ههنا نتحدث. فقال: يا أبا بطن - وكان الطفيل ذا بطن - إنما نغدوا من أجل السلام نسلم على من لقيناه. - رواه مالك في الموطأ بإسناد صحيح، ورواه البخاري في الأدب المفرد -
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث المسيء صلاته أنه جاء فصلى ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه. فرد صلى الله عليه وسلم فقال: ارجع فصل فإنك لم تصل، فرجع فصلى، ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم حتى فعل ذلك ثلاث مرات. - متفق عليه - والمعنى: استحباب إعادة السلام على من تكرر لقاءه.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلوات الله عليه قال: إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن من حالت بينهما شجرة، أو جدار، أو حجر، ثم لقيه فليسلم عليه.
- رواه أبو داود، والبخاري في الأدب المفرد، وأبو يعلى في مسنده -
- عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: عودوا المريض، وأطعموا الجائع، وفكوا العاني (أي الأسير). (النووي، د.ت) - رواه البخاري، والبيهقي في السنن الكبرى -
- عن أبي هريرة س أن رسول الله صلوات الله عليه قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أ رأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد أعنته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته. - رواه مسلم، والإمام أحمد وأبو داود -
- وعنه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلوات الله عليه يقول: إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزلُّ بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب. - متفق عليه -
ومعنى يتبين: يفكر أنها خيراً أم لا.
- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده. - متفق عليه -
- وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله صلوات الله عليه قال في خطبة يوم النحر بمنى في حجة الوداع: إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا ألا هل بلغت. - متفق عليه -
- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي صلوات الله عليه: حسبك من صفة كذا وكذا - قال بعض الرواه؛ تعنى قصيرة - فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته، قالت: وحكيت له إنساناً فقال: ما أحبُّ أني حكيت إنساناً وإن لي كذا وكذا.
رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح -

ومعنى مزجته: خالطته مخالطة يتغير بها طعمه، أو ريحه لشدة نيتها وقبحها وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة.

• وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم. - رواه أبو داود والإمام جلال الدين السيوطي في الجامع الصغير -

• وعن أبي الدرداء س عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة. - رواه الترمذي وقال: حديث حسن، ورواه الإمام أحمد، وعبد بن حميد في مسنده -

• عن عتبان بن مالك س وهو ممن شهد بدرأ في حديثه الذي وصف فيه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في بيته أنه قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فقال: أين مالك بن الدخشم؟ فقال رجل: ذلك منافق لا يحب الله ورسوله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقل ذلك، ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله، وإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله. - متفق عليه -

• وعن كعب بن مالك س في حديثه الطويل في قصة توبته قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في القوم بتبوك: ما فعل كعب بن مالك؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفه! فقال له معاذ بن جبل رضي الله عنه: بئس ما قلت! والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- متفق عليه -

- عطفاه: جانباه، وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه.

ولسماحة الإسلام؛ هناك ما يباح من الغيبة لما في ذلك من فائدة للمسلمين والإباحة، وذلك في ست حالات؛ وهي:

- 1- التظلم: يجوز للمظلوم أن يتظلم إلى من له القدرة على إنصافه.
 - 2- تغيير المنكر ورد المعاصي إلى الصواب فيقول: فلان يعمل كذا فاجره عنه.
 - 3- الاستفتاء، فيقول للمفتي: ظلمي أبي، أو أخي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟.
 - 4- تحذير المسلمين من الشر، ومنها المشاورة في مصاهرة إنسان والتحذير من مصاهرته، أو مشاركته إن كان سيئاً.
 - 5- أن يكون مجاهرًا، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب.
 - 6- التعريف: إذا كان الإنسان معروفاً بلقب كالأعمش، أو الأصم جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقه على جهة التنقيص، ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.
- فعن عائشة ل أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: ائذنوا له ببس أخو العشيرة. - متفق عليه -
احتج به البخاري في جواز غيبة أهل الفساد، وأهل الريية.
 - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ما أظن فلاناً وفلاناً يعرفان من ديننا شيئاً.
 - قال الليث بن سعد أحد رواة هذا الحديث: هذان الرجلان كانا من المنافقين. -
- رواه البخارى -
 - وعن فاطمة بنت قيس ل قالت: أتيت النبي ﷺ فقلت: إن أبا الجهم، ومعاوية خطباني، فقال رسول الله ﷺ: أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه. - متفق عليه -
 - وفي رواية لمسلم: أما أبو الجهم فضرب للنساء، وقيل معناه: كثير الأسفار.
 - وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر أصاب الناس فيه منه شدة فقال عبد الله بن أبي: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفقوا

- وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فأجتهد يمينه ما فعل، فقال كذب زيد رسول الله ﷺ فوقع في نفسى مما قالوه شدة حتى أنزل الله تعالى تصديقي: "إذا جاءك المنافقون؛ ثم دعاهم النبي ﷺ ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم. - متفق عليه -
- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قالت هند امرأة أبي سفيان للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم، قال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف. - متفق عليه -
 - عن وائلة بن الأسقع س قال: قال رسول الله ﷺ: لا تظهر الشماته لأخيك فيرحمه ويبتليك. - رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب، والطبرانى في الكبير -
 - وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. - رواه مسلم والترمذى -
 - وعن ابن مسعود س عن النبي ﷺ قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر! فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً وفعله حسناً. فقال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس. النووى (د.ت) - رواه مسلم وأبو داود -
ومعنى بطر الحق: دمغة غمطهم: احتقارهم
 - وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال رجل والله لا يغفر الله لفلان. فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألي على أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت له، وأحببت عملك. - رواه مسلم وابن حبان -
 - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه. - رواه البخاري، متفق عليه -
- ذلك لأنه لطيف يجمع المحاسن وأعضاؤه نفيسة لطيفه، وأكثر الإدراك بها، فقد يبطلها ضرب الوجه، وقد ينقصها، وقد يشوه الوجه، مما يتبع ذلك من أذى نفسي!.

• وعن بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث. - متفق عليه ورواه أبو داود -

لما في ذلك من أثر نفسي سيء على الرجل الثالث، فقد يظن أن الحديث عنه، أو أنه غير مرغوب في صحبته، إلى آخره من ظنون النفس، وفتح الباب لعمل النفس الأمانة بالسوء.

فعن بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه. النووى (د.ت: ص ص 548، 549) - متفق عليه -

وأخرجه البخاري. باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمساواة والمناجاة والمعنى في الحديثين: بأن الواحد إذا بقى فرداً وتناجى من عداه دونه أحزنه ذلك إما لظنه احتقارهم إياه عن أن يدخلوه في نجواهم، وإما لأنه قد يقع في نفسه أن سرهم في مضرتة، وهذا المعنى مأمون عند الاختلاط، وعدم إفراده من بين القوم بترك المناجاة فلا يتناجى ثلاثة دون واحد. ولا عشرة.

وفى كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة:

• عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يثنى على رجل ويطريه في المدح فقال: أهلكتم، أو قطعتم ظهر الرجل. - متفق عليه -
- والإطراء: المبالغة في المدح.

• وعن أبي بكرة س أن رجلاً ذكر عن النبي ﷺ فأنى عليه رجل خيراً، فقال النبي ﷺ: ويحك! قطعت عنك صاحبك - يقوله مراراً - إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل: أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك، وحسببه الله، ولا يزكى على الله أحد. - متفق عليه -

• وعن همام بن الحارث عن المقداد رضي الله عنه أن رجلاً جعل يمدح عثمان س فعمد

المقداد فجشاً على ركبتيه فجعل يمشو في وجهه الحصباء، فقال له عثمان: ما شأنك؟ فقال إن رسول الله ﷺ قال: إذا رأيتم المداحين فاجشوا في وجههم التراب. - رواه مسلم -

والأحاديث السابقة جاءت في النهي، أما عن الإباحة فقد جاءت فيها أحاديث كثيرة صحيحة، قال العلماء: وطريق الجمع بين الأحاديث أن يقال: إن كان الممدوح عنده كمال إيمان ويقين، ورياضة نفس، ومعرفة تامة؛ بحيث لا يفتتن ولا يغتر بذلك، ولا تلعب نفسه فليس بحرام ولا مكروه، وإن ضيف عليه شيء من هذه الأمور كره مدحه في وجهه كراهة شديدة، وعلى هذا التفضيل تنزل الأحاديث المختلفة في ذلك. ومما جاء في الإباحة قوله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: أرجوا أن تكون منهم؛ أي من الذين يدعون من جميع أبواب الجنة لدخولها، وفي الحديث الآخر: لست منهم؛ أي: لست من الذين يسبلون أزهرهم خيلاء، وقال رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه: ما رآك الشيطان سالكاً فجاجاً إلا سلك فجاجاً غير فجاجك.

• وعن المساواة بين الأبناء يقول النعمان بن بشير ب أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إنني نخلت ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ: أكل ولدك نخلته مثل هذا؟ فقال: لا. فقال رسول الله ﷺ: فأرجعه. وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا، قال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم، فرجع أبي فرد تلك الصدقة.

• وفي رواية - فقال رسول الله ﷺ: يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ فقال: نعم، قال: أكلهم وهبت له مثل هذا؟ قال: لا، قال: فلا تشهدني على جور، فإني لا أشهد على جور.

• - وفي رواية: لا تشهدني على جور، وفي رواية أشهد على هذا غيري. ثم قال: أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟ قال: بلى، قال: فلا إذن. النووي (د.ت) - متفق عليه -

- وعن النهى عن التعدي على الغير في البيع، أو في الخطبة، لما في ذلك من آثار سيئة على النفس، تؤجج نيران البغضاء بين الناس، حديث ابن عمر ب كان يقول: نهى النبي ﷺ أن يبيع بعضكم على بيع بعض، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخطاب قبله أو يأذن له الخطاب. - أخرجه البخاري: باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع -